ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

حنطة

شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات

العدد 28 - كانون الثاني - شباط - 2016

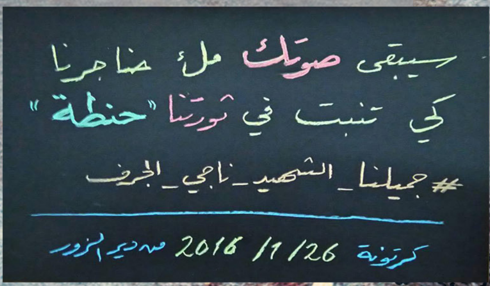

هيئة التحرير

رئيس التحرير: ناجي الجرف

مديرة التحرير: بشرى قشمر

سكرتير التحرير: عروة الحلاق

مشرف تقني: بحر عبد الرزاق

تصميم فنّي: عمران الحلاق

علاقات عامة: جمال حسون

تدقيق لغوي: همام الخطيب

ساهم في تحرير هذا العدد:

مروان عبد الرزّاق

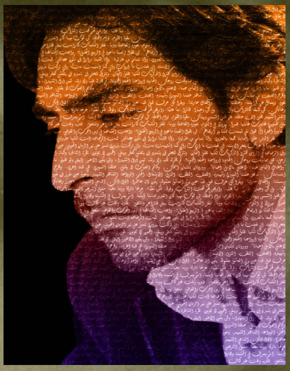

الغلاف الأمامي: عمل لفريق فيكتور

الغلاف الخلفي: عمل لمنير الأيوبي

شاركَ في هذا العدد

أسد دوارة

بسام يوسف

بشرى قشمر

جبر الشوفي

حسن اسماعيل اسماعيل

خالد أبو عيسى

راتب شعبو

رامي العاشق

زياد ماجد

سمير العيطة

شكري الريان

علاء الدين الزيات

مازن اسماعيل

محمد ملّاك

مروان عبد الرزاق

ياسمين مرعي

والفنانون

أسامة دياب

جوان زيرو

خالد بركة

رائد قطناني

عماد رشدان

عبد اللطيف الجيمو

محمود سلامة

منير الشعراني

هاني عبّاس

وائل حليبة

يارا النجم

الآراء الواردة في مجلة حنطة لا تعبر بالضرورة عن رأيها

www.hentah.com

hentah.magazine@gmail.com

افتتاحية العدد

حواراتٌ استباقيَّةٌ مع الموت

ناجي الجرف

أعرفُ جيداً أن آخرما يتراءى للشهيد
هو لقاؤه العاطفيُّ الأوّل
والشهوةُ الأولى
على موسيقى النشيد الأوّل
كم أنتنّ بائساتٌ أيّتها الحوريات
موتانا لا يبتسمون
موتانا ينتظرون العودةَ
شهداؤنا سيَّاحٌ في جنةِ الله
ستنتهي «فيزهم» السياحيَّة
ليعودوا سالمين غانمين إلى أراضيهم
وأطفالهم
....
الثورة لا تسترُعورةً
بل تكشفُ كلَّ العوراتِ
النائمة فينا
يا عورتي.. يا ورثتي الوحيدة
من حطام كتبِ «ماركس» الحمراء
ووصايا «لينين»
ورسالة «عفلق» الجاحدة
لن أخجل منكِ بعد اليوم
....
لهذا الوطن المتمترسِ داخلي:
اهرب مني
علّ روحي تعاود الطيران
....
عبأها بنظرةٍ
وغادر الكادر غريباً
مثقلاً بالصورة
نسي أن يطبع قبلةً
على جبينها البارد من استثناء الغياب
أو أن يترك رقم هاتفٍ لدولةٍ أخرى
عبأها ومشى
متعباً من الكلام والركام
....
ولي حلمٌ بطول أنفي
وأغنياتٌ
بعرض هذا الموتِ الذي لا ينتهي
ولي جرحُ خاصرتي
ورئتي المنهكة
بمفجّرات الصدر
وشبقي المتعب من زئيرِ الموت

ولي كأسي
وصوري
وتراتيل فتاةٍ
واعدتني وخلفت بوعدها
ولي من اسمي نصيبٌ
نجوتُ من الموتِ مراراً وتكراراً
وحملتُ الغصّةَ إلى أبد الآبدين
ولي من اسمي نصيبٌ
كبهلوانٍ أمشي على حبلٍ
وأرخي ذراعيّ للريح
ناجياً بقدرة حدسي
وثقتي بغباء المحقّق
ورجفة يد القنّاص
وغفوة الحارسِ على الحاجز
واهتمام الشيخِ بأحكام التجويد
أكثر من مكان مولدي
ومسقطُ رأسي يسقط واقفاً مع كلِّ كرٍّوفرٍّ
ولي من اسمي نصيبٌ
وجعبةٌ من القنابل المسيلة للحلم
الآتي من حكايات شادوفي الدائر دوماً
كالنشيد
ومن حسن حظّي
أنّي حصّنتُ نفسي بأملٍ غريب
لا يهجرني
ولا أملّه
وتعاملت مع الشيطان على أنّه مقامرٌ مثله
مثلي
لا يملكُ أيَّ امتيازٍ على البشريِّ المتمرّسِ

داخلي
يُلاعبني وألاعبه
رامياً كلَّ أوراقي
فلا يضيم الحافي خسارة جوربه
ولي من اسمي نصيب
هجرتُ الموت لاجئاً إلى النشيد
العالق في حنجرة الحمويِّ الأوّل
غصّةً لأيامٍ تأخّرت في القدوم
ولي من اسمي نصيب
كبهلوانٍ يمشي على خيطٍ رفيع
على شريط الأخبار
ولي من اسمي نصيب
حُبّي لاجتذاب الضوء في عدسة الصحفيّ
سرقني من الموت
....
ركّبَ كاتم حياةٍ لنشيده
وبدأ بترتيل عهده الآتي:
هل في الروح متّسعٌ للنَفَسْ
جملةٌ كانت آخر ما فكّربه
قبل أن يلقي الجسد المتعب
على مدينته.. ويغفو
قد يعود يوماً ويسألني
ماذا فعلتَ في غيابي؟
سيعود
لطيفاً
قوياً
ومبتسماً كأغنيةٍ من مذياع
أو نسمةٍ من ريح.

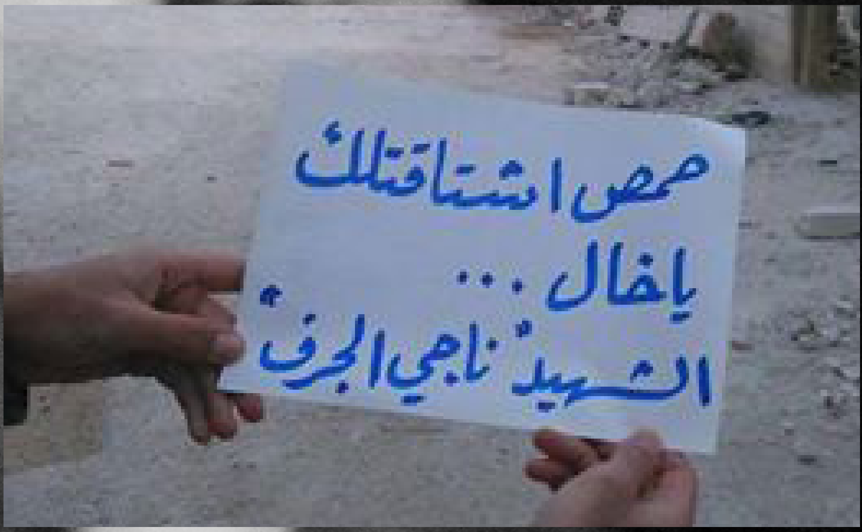

«تنسيقية مدينة بنش»

دموعنا كلماتُ ثورةٍ ربيعيّةٍ، ولدت من رحم المحبة والأمل لأناسٍ اختاروا أن يفتدوا وطنهم بأرواحهم، فإن هطلت نارُ الأوغاد على قمحنا سنبكي لنطفئها. فبدموعنا سنروي آهات القلوب وننبت قمح الحرية والأمل.

سنبلة العطاء «ناجي الجرف»، التقيت به لأول مرّةٍ في مدينة «غازي عينتاب» التركيّة، بعد أن وجّه لكادر تنسيقيّة مدينة بنش دعوةً لحضور ورشة عملٍ تدريبيّة فيما يتعلّق بأصول التصوير وكيفيّة إعداد التقارير التلفزيونيّة. بدأ اليوم الأول للورشة وعرّفنا عن نفسه وتعرّف إلينا، تهامسنا وتبادلنا الآراء حول هذا المدرب بعد يومين من بدء الورشة، فقلت لهم: يبدو أنّه شخصٌ واضحٌ وشفّافٌ كثيراً، فقد عرفنا من اللحظة الأولى الكثير من المعلومات عنه مثل أنّه سنّيٌّ وكم هو راتبه، على الرغم من كون هذه المعلومات خاصّةً وهو غير مضطرٍّ لقولها. بينما قال الثاني: أحسست بذكائه، وقال الثالث: يبدو أنّه بعيد النظر ويجيد قراءة الواقع، واعتقد الرابع أنّه درس أو عارك في المجال السياسيِّ والدبلوماسيِّ؛ وذلك بسبب طبيعة أفكاره وطريقته في تحليل المعلومات والمجريات على أرض سوريا والمنطقة. طلبنا من صديقنا جمال، الذي كان صلة الوصل بيننا أن نلتقي بناجي، وقد فاجأنا بأن ناجي قد طلب منه الطلب ذاته، وإننا مدعوون لاحتساء القهوة في مكتبه في الطابق الأول.

كان عشقه للنسكافيه واضحاً، وطريقته المرحة في الحديث والنكات الارتجاليّة، كان حبّه لمساعدة الآخرين واضحاً، أحسستُ بأن دافعه إلى ذلك هو دافعٌ وطنيٌّ بحتٌ؛ فقد كان آخر يومٍ في الورشة هو يومُ انتخاباتٍ تركيّةٍ، وهناك تحذيراتٌ للسوريّين بالتزام المنازل، حجز لنا في الفندق ليومين إضافيّين على نفقته، فيما كنّا نحاولُ منعه ونقول له: «لا تغلّب نفسك خالو» ولكنّه أصرَّ وقال لي: «مين إلنا غير بعض هون يا خالو، انتو أهم علي من حالي، إذا صرلكون شي ما بسامح حالي، وخاصة أنكون صوت الحرية». وكان مصرّاً على بقائنا بضيافته والسهر يوميّاً ، وتجاذب أطراف الحديث.

وبعد عودة فريق تنسيقيّة بنش إلى سوريا لمتابعة الأعمال الثوريّة، لم يتوقّف الشهيد «ناجي الجرف» عن دعم تنسيقيّة بنش بمختلف أنواع الدعم؛ حيث عمل على توظيف بعض شباب التنسيقيّة ضمن مكتب «حنطة» في محافظة إدلب، ووظّف آخرين في تصوير التقارير التلفزيونيّة، وكان لا يتوانى عن إلغاء أيّ عملٍ صحفيٍّ أو تلفزيونيٍّ من المحتمل أن يؤدي إلى ضررٍ يلحق بأيِّ إعلاميٍّ، وكان يردد باستمرار: « يا خالو أهم شي سلامتكون، كرمال الله انتبهوا لحالكون»

كان الشهيدُ ناجي يدعم أيَّ نشاطٍ يقوم كادر تنسيقيّة بنش بعرضه ولا يتردّد في دعم وتأمين كلِّ ما يستطيع من متطلّباتٍ واحتياجاتٍ للناشطين والمواطنين الصحفيّين، كان معطاءً كما سنابل القمح.

تهدي سلاماً طأطأت حروفه خجلة لروحك الطيبة، وتحيةً يملؤها الافتخار بك، يا شهيداً قدَّم روحه رخيصةً ليحيا الوطن وتتجرأ الكلمة. لن تستطيع كلماتنا وصفك ولكن تجرأت بعضها كما علّمتَنا، كنت شمساً تغيبُ خجلاً من إشراقها كلُّ الشموس. تحية إلى روحك الطيبة الطاهرة.

> ولربما تكون صحافة المواطن الأكثر نبلاً وتضحيةً وجمالاً حتى الآن في نقل حقيقة ما يجري في بلدي من مخاضاتٍ عديدة ستنجب فجرنا الذي ننتظر.
>
> ن.ج

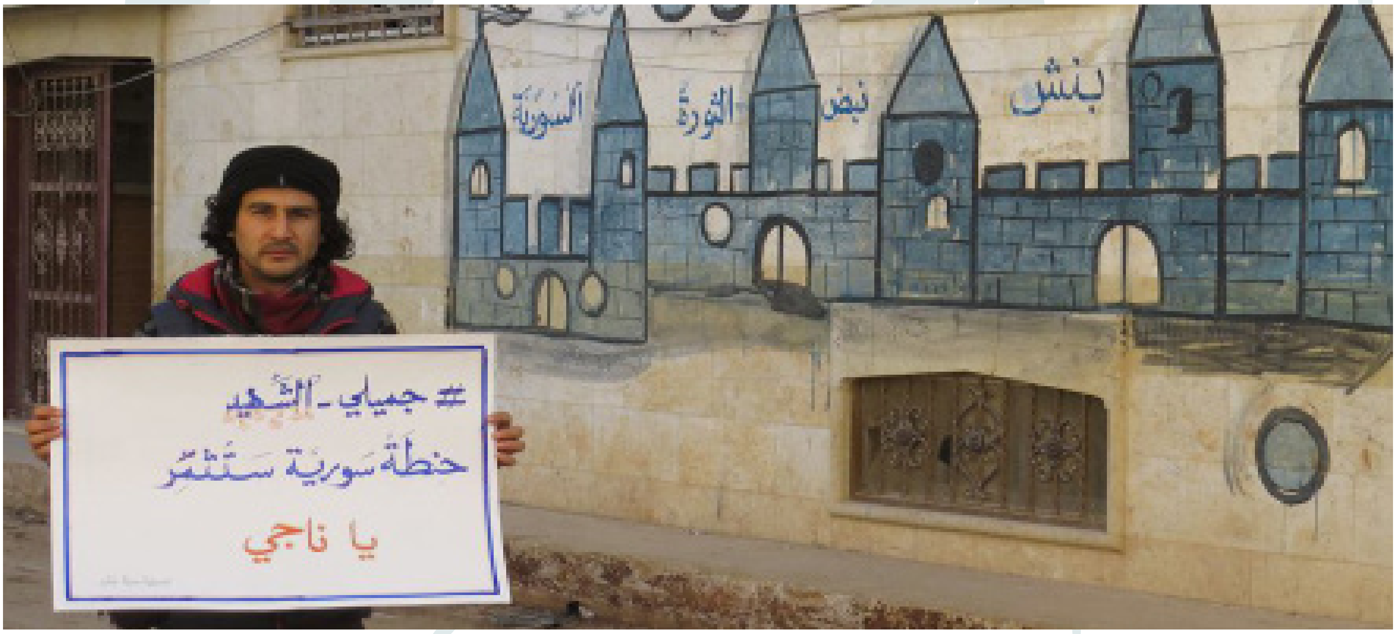

بروح ناجي المتألقة

بيروز بيريك

ما يـنفع شهداءنا هو متابعتنا نقل الحقيقة عملنا وحده الصدقة الجارية التي ينتظرونها منّا الآن
ن.ج

ما أستحضره بعمقٍ في مخيلتي عن ناجي هو لقاءاتُ دردشةٍ طويلةٍ سبقت إطلاقنا لمنتدى المعرفة وحرية التعبير في عينتاب، فما سبق ذلك من عملٍ اشتركنا فيه مع زملاءَ وأصدقاءَ آخرين كان موسوماً بالعجلة والانشغال الشديد. في تلك اللقاءات الطويلة استكشفتُ روح ناجي المتألقة؛ حبه الشديد لأسرته وأصدقائه، فكره المدنيّ الطامح، دفاعه عن المقهورين، رفضه كلَّ صيغ الدكتاتوريّة والتسلّط. دخلنا في تفاصيلَ كثيرةٍ وسردِ وقائع، تخلّل ذلك مزاحٌ وضحكٌ وكؤوسُ نسكافيه كبيرةٌ. كان يضحك ويقول: «أحلى انفصاليّ» غامزاً ومشيراً لآرائي عن القضية الكرديّة، ليمضي في الحديث قائلاً: ليس في سوريا ممثلون عن «القرباط»، سأحمل ربابةً وأدافع عنهم. روحه المرحة وضحكته التي يختبئ خلفها حزنٌ مديدٌ هما أكثر ما يلهب الذاكرة. شكّلَ ناجي علامةً فارقةً في دعمه للمواطنين الصحفيّين، ولم يتخلَّ عن مسعاه في تشجيعه لهم ومواكبته لأحوالهم وظروفهم، وتطلّب هذا جهداً استثنائيّاً أثمر عن انتقال العديد منهم لطور احتراف الصحافة. بقي عفيفاً عن لغة التخوين وآمن بتعدّد الرؤى والأفكار. الرحمة والخلود لروح ناجي الشهيد.

في مضافة ناجي الجرف

نور مارتيني

أقف متسمّرةً أمام كلمات «بشرى»، أقلّب صور «يم» و«إميسا»، ويجلجل صوتٌ أجشّ لضحكةٍ مرّت بذاكرتي..
تلك الضحكة المجلجلة كانت لناجي وهو يتوسّط الأصحاب..يجاذبهم أطراف الحديث، والضحكات، ويتبادل معهم السجائر..
تخذلني الكلمات وأنا أستحضر تلك الصور، فمن يعرف ناجي عن كثبٍ، يدرك أن فوضاه وحيويته يصعب أن تختصرا بكلمات رثاءٍ..
كان يكفي أن تطأ أرض عينتاب لتدوي تلك الضحكة الصاخبة في أذنيك، وتراه ينشر ضحكاته في كلِّ المحافل..
لم تكن «حنطة» مشروعاً، بل كانت مساحةً للبوح..
فالدفءُ الذي تحيطك به أسرة التحرير، يقابله ذلك الاهتمام الجميل من ناجي، وهو يرسل إليك رابط العدد، ويستأنس برأيك، تجعلك تحسُّ أنك في بيته أو مضافته، تحتسي وإياه فنجان النسكافيه، وتتجاذب وإياه أطراف الحديث..
دعني أفضي لك بسرٍّ أيّها الناجي، ذات مرّةٍ التقيت بأحد أقربائك في عينتاب، وأخبرته أنّ مجموعتي القصصيّتين قد احترقتا من جملة ما احترق في مكتبك في دمشق، يومها ضحك قريبك وقال لي «إذا نشبت حربٌ طائفيّةٌ في سوريا، سيكون ناجي وراءها» في إشارة منه إلى إنكارك للانتماءات الطائفيّة..
اسمح لي اليوم، في حضرتك أن أقول له: «رحيل ناجي ..أثبت لكلِّ السوريّين كم هي هزيلةٌ تلك الطوائف..
لقد كان ناجي.. إنساناً عابراً للطوائف.

وتبقى صحافة المواطن هي البندقية الأهم في حماية المجتمعات المحلية
#لا_للقتل_نعم_لحرية_الإعلام
ن.ج

ابراهيم الإدلبي

رحل ذلك الفارسُ الذي لطالما اعتبرته ضوءَ المنارة الذي أستعين فيه إذا ضللت الطريق في عرض البحر لأعود إلى برّ الأمان. كان الشهيد يوصيني دائماً: «سلامتك أهمُّ من أيِّ خبرٍ أو صورةٍ أو فيديو؛ إن الحفاظ على سلامتك هو طريقك الأول للنجاح والوصول إلى ساحات الصحافة». وكان قد أعطاني عدداً من الدروس عندما بدأتُ عملي مع «الجزيرة نت» وحرَّرَ بتعليماته قيود أفكاري، وأنا شخصٌ من كثيرين هيّأنا الشهيد لنكون بوصلةَ الشعب ومرشده الأول والأخير، وفي الختام وما رحيله عنّا إلا فاجعةٌ لنا إلا أننا ماضون في الطريق حتى نصل إلى ما كان يطمح إليه ذلك الشهيد الجميل.

دائماً تدهشني اللقطة بتفاصيلها وإضاءتها وما وراء كادرها
اللقطة هي التقاط الدهشة بلحظة
كالتقاط حالة الاندماج بين العبد وخالقه في لحظة خشوع
ربما تأتي لمرة واحدة ولا تتكرر
ن.ج

أغيد الخضر

عندما تودُّ أن تشرحَ لأحدهم عن ثقافة المواطن الصحفيّ، يكفيك أن تذكرله «ناجي الجرف»، أوتريه بعض أعماله، كيف لا، وقد ارتبطت هذه الثقافة بشخص الشهيد ناجي بعد تكريس حياته لها، وتدريبه ما يتجاوز ألف مواطنٍ صحفيّ منتشرين في عموم سوريا. أنا شخصيّاً لم أكن مولعاً بهذه الثقافة من قبل، وكي أكون منصفاً أكثر، أحببتها نتيجة محبتي لناجي ليس لحبي لها، لكنني مع الوقت أحسستُ بقيمتها، وفهمت لماذا اختارها الشهيد عن غيرها. أن تكون مواطناً صحفيّاً يعني أن تعمل لمبدأ تفرضه على نفسك، أن تحبَّ عملك وتضحي من أجله، أنت هنا لست صحفيّاً تنتظر أوامرَ رئيس التحرير وتوجهاتٍ لأحداثٍ معيّنة، بل أنت من يصنع الأحداث وينقلها على حقيقتها، معناها أن تعمل تحت اسمٍ وهميٍّ؛ فالشهرةُ آخر همّك، معناها أن تحافظ على نفسك قدر الإمكان؛ فالبطولةُ أن تستمرَّ وليس أن ترمي بنفسك في أحضان الموت، «خالي المعلومة على قدر الحاجة مو على قدر الثقة»، كلماتٌ راسيةٌ في الأذهان كخلود صاحبها شهيد الكلمة.

من خلال عملي كمدرب ومشرف ومتابع
لعدد من الناشطين الإعلاميين
ضمن مشروع المواطن الصحفي
دهشتي كانت دائماً بالطموح غير المحدود لبعض الناشطين
حبهم ل سورية وجهدهم الغير محدود
بسورية القادمة
سورية القوية المتعالية على كل الجراح
ن.ج

الشاهد الشهيد

بسّام يوسف

أعاد رحيل «ناجي» سؤال الموت إلى رأسي، كنت أقول لنفسي دائماً: إنّ الوقتَ لا يزال ضيّقاً على الانشغال بهذا السؤال.
دهمَ الموت «ناجي» باكراً، لأنه- أي الموت- لا يعرف الوقت، وطالما أنّ الحياة مهما تشعّبت دروبها فلن تفضي إلّا إلى الموت، فلماذا لا نختار موتنا؟ ليس الموتُ واحداً، وبعيداً عن الجنّة والنار يبقى الموت متعدّداً، ثمّة موتٌ جميلٌ وثمّة موتٌ فاجعٌ، ثمّة موتٌ عاديٌّ وثمّة موت باذخٌ، وثمة موت......
لقد اختار «ناجي»... اختار أن يكون موته سورياً، لعلّها صفةٌ جديدةٌ للموت، لكنّ السوريّين نحتوا وجهاً جديداً للموت.

> اللون الأسود يحاول دائماً امتصاص الضوء الصادر من العدسات.
> وحدكم من يوثّق حكاية سورية.. وحدكم من يكتب الحكاية.
> ن.ج

لعلّه عندما كان يصف أصدقاءَه الراحلين بالشهداء الجميلين كان يعرف أنّه سيشاركهم هذا الموت السوريّ الجميل.
«ناجي الجرف» السوريّ المعتّق بسوريّته، بسيطٌ وواضحٌ ويمكنه أن يهبك بعد قليلٍ من التعرّف إليه شعوراً عميقاً بالألفة، ويمكنه أيضاً أن يشعرك بعد قليلٍ بكلِّ العناد والصلف السوريّ، الذي يمضي إلى ما يريده بلا تردّدٍ. بسيطٌ كضحكة ابنته «يم»، وواضحٌ كالطلقة التي أوغلت في سوريّته، رحل «ناجي» شاهد حلمنا السوريّ وشهيده.

سامر القطريب

شارعٌ هادئٌ، حدوده ضائعةٌ بين الحارة الشرقيّة والشماليّة في مدينة السلمية، وحجرٌ أزرقُ ثابتٌ كتاريخ تلك الأيام، يلتفُّ حوله شبابٌ يخدشونه ببعض الضحك، أحد هؤلاء الشباب كان ضعيفَ البنية ذا شعرٍ طويلٍ مسترسلٍ يتكئُ على دراجته النارية «السنفور بحسب ما أذكر» يتكلّم بصوتٍ عالٍ يستنفر الجيران الشباب للتجمّع حول خبرٍ أو كأسٍ من «المتة». في ذاك الشارع عرفت ناجي لأول مرّةٍ، كنت وقتها صغيراً -لا أذكر في أيِّ عامٍ على وجه التحديد لكنه كان أحد سنوات التعلّق الصعب بالحياة كما اليوم- الأملُ وحبُّ الحياة كانا ضجيج ناجي وقتها، لمست ذلك عن قرب بعد سنواتٍ

في دمشق حين عملت معه لفترةٍ قصيرةٍ في مجلة «الهندسة والمقاولات»؛ حيث كان ضمن هيئة تحرير المجلة. تشجيعه ابتسامته ونشاطه كانت أشياء روتينيّة، ما أثار دهشتي وقتها إصراره على إعادة «لواء إسكندرون» إلى الخريطة السوريّة على غلاف المجلة، رغم استدعاء الأمن السوري له سنة (٢٠٠٩) إن لم تخنّي الذاكرة. دفع ناجي ثمن موقفه الصريح بعد (٥) سنواتٍ على قيام الثورة، وما تبقّى منه سيسدَّد من حسابنا جميعاً بحسب رواية الحجر الأزرق في شارعنا.

> هو الموت أيتها العدسة
> لا يريد أن يترك للضوء مساحة
> ن.ج

محمد سعد الدين

«ناجي الجرف» هو من أوائل الذين درَّبوا الإعلاميّين في حمص. ونحن عرفناه منذ أواخر سنة (٢٠١١)، وبقي في ريف حمص يدرِّبُ الإعلاميين نحو (٥) أشهرٍ. كان أثناء التدريب يتميّز بسعة الصدر، وكان حريصاً على ألّا يغضب أحدٌ منه، بالإضافة إلى خبرته الواسعة التي كان كلّ همّه ينصب في إيصالها لنا، لتكون هناك أجيالٌ ذات خبرةٍ؛ فنحن لم تكن لدينا أيُّ خبرةٍ في مجال الإعلام. وبفضل «الخال» ناجي أصبح لدينا خبرةٌ. وبعد خروجه من حمص أقام عدّة دوراتٍ على «السكايب» كي نواكب تطوّر العمل الصحفيّ، لأنَّ الإعلام كلّ يومٍ فيه شيءٌ جديدٌ. هو من أطيب الناس الذين عرفتهم، وحين خرجتُ من ريف حمص إلى عينتاب، كان هو في استقبالي وكان أول شخصٍ رأيته في عينتاب حين وصلت، وبعدها عملت معه عدّة أعمال. كان يتّصفُ بالكرم والطيبة. «الخال» ناجي هو وجعنا، شهيدٌ جميلٌ، ومهما وصفت هذا البطل لا أعطيه حقَّه.

ويبقون كزهر اللوز بل أجمل
ليبقى عملهم في إيصال الحقيقة هو الرهان الأكثر قدرةً على الإدهاش.
المواطنون الصحفيون في سورية، وحدكم النسمة المنعشة للرئة.
ن.ج

محمد طه

حضرت عدّة تدريباتٍ للشهيد الصحفي «ناجي الجرف» عن بناء المواطن الصحفيّ، والسلامة الشخصيّة للمواطن الصحفيّ، وكيفيّة تحرير الخبر بموضوعيّةٍ دون أيّ أجرٍ مدفوعٍ. كان ناجي أخاً كبيراً لنا ومدرسةً نتعلّم منها، كنا مغيّبين جدّاً عن المعايير الصحفيّة. ومن خلال عدّة «كورسات» خضعتُ لها وتعلمت منها الكثير، لا يمكنني أن أنسى طيبته ومعاملته وكرمه بالمعلومات والمساعدة وابتسامته الدائمة. سنمضي لما علّمنا وسنكمل الطريق الذي كان يقصده، الرحمة له والصبر لنا ولعائلته بفقدانه.

استهداف المواطنين الصحفيين في سورية من قبل كافة المستبدين لا يشير إلا لشيءٍ واحد؛ رعب اللون الواحد من الحقيقة، أبعدوا قنّاصيكم عن عدساتنا.
ن.ج

محمود نجار

لم يكن ناجي إعلاميّاً يبغي الشهرة، بل كان- ثائراً ضدَّ نظام الاستبداد؛ فهو معارضٌ بالفطرة ثم بالفهم. بعد أن وعى وعرف حقيقة هذا النظام، بدأ بتطوير قدراته ومعارفه حتى اندلعت الثورة السوريّة فكانت ذخيرته المعرفيّة زاداً للشباب الثائر المتعطّش للحرية؛ حيث بدأ مع أصدقائه ورفاقه بتدريب الناشطين من الذين قاموا بالمهمة الإعلاميّة بوسائلَ ووسائطَ بدائيّةٍ؛ حيث تمَّ تطويرهم وتجهيزهم بوسائلَ وآلياتٍ وأفكارٍ جديدةٍ ومتطوّرةٍ في نقل الخبر وصياغته ورصده وإيصاله، فكانوا العين الساهرة لنقل كلِّ الانتهاكات والأعمال الإجراميّة على عموم الأراضي السوريّة. وفي المقلب الآخر كان ناجي مع مجموعةٍ من أصدقائه دون ضجيج و«بهورة» يساهمون في إيصال ما تيسَّر لهم إلى الأسر السوريّة المحتاجة. كما ساهم بالحدِّ الذي أتيح له في اللجنة الإعلاميّة لإعلان دمشق للتغيير الوطنيّ الديمقراطيّ.

رحم الله ناجي الإنسان الثائر والإعلاميّ والمثقف السياسيّ، الذي كان قلبه وعيونه ترنو لسورية الحرية فكانوا له بالمرصاد.

ومن سوء حظي أني أحببتهم
وتعلقت بكلماتهم وضحكاتهم وصورهم وقصصهم
ومن سوء حظي أن أعد الكلمات
والساعات والغصّات منتظراً عودتهم
المواطنون الصحفيون المعتقلون في سجون الظلّام
وحدكم من رسم بالضوء الحلم
الحلم الذي سيولد رغم آلام هذا المخاض الطويل.
ن.ج

ناجي الشهيد قنّاصاً

عباس علي موسى

إنّ من أهمّ مرافقات التغيير والثورة في المنطقة، كان التغيير على مستوى البنية في الصحافة التقليديّة، وانبثاق ما اصطلح على تسميته بـ«صحافة المواطن».

تأخذ صحافة المواطن قيمةً أكبر حين تكون مساهِمةً في التغيير وجزءاً منه كذلك؛ فنقل صور الأحداث والتظاهرات بالموبايلات كان من أهمّ ما ساعد على انتشار فكرة التغيير والثورة.

كان أوّل ما زعزع بنية النظام المركزيّة وتسلّطه على أدوات الإعلام والصناعة الإعلاميّة من قنواتٍ وصحفٍ وإذاعات و...، أن خرجت السلطة من يديه كما خرج الشارع عن سطوته وجبروته واستبداده، فغدت الصورة والفيديوهات صناعةً في متناول اليد، .يقوم بها أناسٌ خارج المؤسسة التقليديّة

ومع استمرار الثورة، لم تغدُ هذه الظاهرة مجرّد خروجٍ عن الإطار التقليديّ، إنّما صار لها قواعدٌ وأسسٌ تجري عليها، وكان

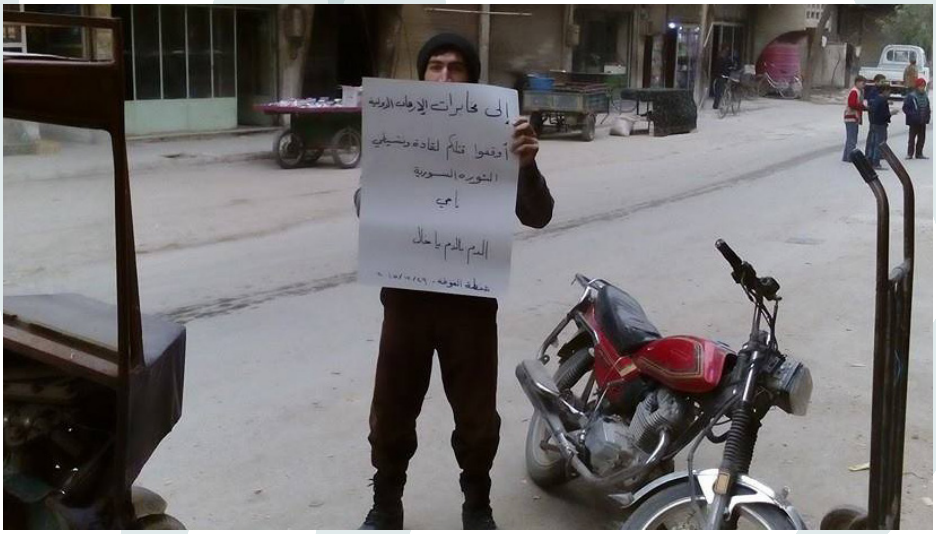

للشهيد ناجي يدٌ من ذهب في تأصيلها. كلُّ صورةٍ تساوي ألف كلمة، وكلُّ كلمةٍ تساوي ألف رصاصة، فطوبى للشهيد «ناجي الجرف» قنّاصا حمل وخلّف آلاف الصور والكلمات رصاصاتٍ تفتتح للغد باباً يفضي إلى الحرية، والحرية وحدها.

وحدهم شباب وصبايا العدسات
من علمني أن الحقيقة ضوء
وأن التعب جزءٌ جميلٌ من عملنا الطويل والممل.
ن.ج

ناجي ما مات ناجي عاش فينا

يعرب الدالي

قتلوا ناجي الجرف كي يطفئوا بذلك مشعلاً أضاء في طريق إعلام الثورة السوريّة، لكنّهم ما علموا أنّهم بذلك زادوه اشتعالاً؛ أولاً في نفوس مئات المواطنين الصحفيّين الذين درّبهم، وثانياً في نفس من كان يشكُّ بأن ناجي على حقٍّ حتى تأكّد من ذلك بعد أن قتلوه.
بدأت أساعد في مجال الإعلام دون أن أملك خبرةً في ذلك، حالي كمثل آلاف الشباب السوريّين، وبقيتُ أعمل بعشوائيّةٍ كانت أحياناً تسيءُ للثورة بدلاً من أن تفيدها حتى تعرّفت إلى الأستاذ «ناجي الجرف»، ووافق فوراً على أن أخضع لدوراتٍ تدريبيّةٍ برفقة شبابٍ آخرين ودون أيّ شروطٍ. وفعلاً بدأت الدروس من خلال «السكايب» بمحادثاتٍ جماعيّةٍ أو استشاراتٍ وتوجهاتٍ على الخاصِّ، وكان دائماً يردد عبارة «ابن اختي وخال» حتى بدأت أشعر أنه فعلاً جزءٌ مهمٌّ من عملي لأنني معه شعرتُ بقيمة الكاميرا، وعلّمنا كيف تكون لنا فعلاً عينٌ نُري العالم بها واقعنا وأن تكون الكلمة هادفةً بناءةً، ثم بدأ يسعى لتطويرنا أكثر ويحثّني على التخصّص وينمي مهاراتي في كتابة نصوص الأفلام القصيرة ويدربني لتوزيع مشاهدها ولقطاتها. كان دائماً يشعرنا بأننا نستطيع فعل كلِّ شيءٍ وبإمكانيّاتٍ ماديّةٍ بسيطةٍ، لا وجود للمستحيل معه.
ناجي الجرف باقٍ في نفوس آلاف الشباب الذين صنعهم هو، وجعل منهم دروعاً تحمي الثورة إذا ما قتلوه.

> **فرحي بالمواطنين الصحفيين الذين دربتهم أو تابعتهم**
> **حين يُنشر مقطعٌ أو مادةٌ لأحدهم**
> **هو الثورة التي ما زالت تسري في دمي**
> **وما بقي تفاصيل وتفاصيل**
> **ن.ج**

الناجي

محمد الحاج

عندما طُلب مني أن أكتب شيئاً عن شهيدنا الجميل «ناجي الجرف» لم أعلم بلسان من يجب أن أتكلم عنك يا ناجي، بلسان أهالي مدينتي حلب، أم بلسان أصدقائي الذين تعاملوا وتدرَّبوا على يدك، أم بلسان عائلتي، أم بلساني أنا فقط.
ولأكن صريحاً معك أكثر يا ناجي، ترددت كثيراً في كتابة هذه الكلمات الفارغة، كونها رسالةً سأرسلها إليك ولن تقرأها، ومع ذلك قررت أن أتبجح ببضع كلماتٍ، علَّ معجزة تحصل وتقرؤها على صفحات مجلتك.

ولكني ما زلتُ لا أعلم، هل يجب أن أتحدث عن أول لقاءٍ بيننا والذي لا أذكره، أم يجب عليَّ أن أتحدث عن أول محادثةٍ بيننا، أو أول نقاشٍ، أو عن أول لقاءٍ مهنيٍّ وصحفيّ.
هل تعلم يا صديقي أنك الناجي الوحيد منّا، هل تعلم أن رحيلك كسر ظهور وأرواح الكثيرين، هل تعلم أن ذهابك لن يثنينا على «الدم بالدم»، ولن يثنينا عن الفرح، والضحك، والحرية، لأنّك أنت لن تفخر بنا إلّا ونحن منتصرون، ستبقى دائماً يا صديقي في بالنا، ستبقى يا خال في قلوبنا، ستبقى في قوة أرواحنا.

> **حين يكون المواطن مراسلاً يكون الحدث هو رسمٌ للصورة بريشة الروح!**
> **لن أتعب من العمل معكم ولن أتوب**
> **غداً ترسمه عدساتكم لوطن مفتوح الكوادر.**
> **ن.ج**

رحيم القدموسي

صاحبُ الضحكة التي لا تغيب عن ذاكرتي، التقيتُ به في مظاهرات مدينة سلمية عام (٢٠١١) لتبدأ صداقةٌ حميمة بيني وبينه. أصبحنا نلتقي في كلِّ مظاهرةٍ، كما كنا نلتقي بين الحين والآخر في منتزه درج الياسمين في سلمية حتى تمَّت ملاحقته من قبل مخابرات النظام؛ حيث قمنا يومها بترحيل أغراض بيته قبل أن يختفي وتنقطع أخباره. بعدها دخلت أنا السجن وبعد خروجي منه انتقلت إلى العمل المسلّح إلى درعا (اللجاة). وفي أحد الأيام قال أحد الضباط المنشقين: سيأتي صحفيٌّ ليجري معنا أمسيةً ثوريّةً، وكانت المصادفة بعد فراقٍ طويلٍ، فالصحفيُّ هو «الخال ناجي». إنها مهمته وخرج من اللجاة وكانت وسائل الاتّصال في تلك الفترة شبه معدومةٍ فلم أستطع التواصل معه بعدها حتى انتقلت إلى غوطة دمشق الشرقيّة لكي ألتقي به في أحد الأيام. على «الفيسبوك» كنّا نتواصل ونتناقش بالوضع بشكلٍ عامٍّ حتى بداية شهر تموز (٢٠١٥). يومها أخبرته عزمي على اعتزال العمل المسلّح فقال لي: «اي خالوبدي ياك تشتغل معي بمجال الإعلام.... بكلماته الرائعة المضحكة: خالو والله خلال فترة لخليك أشهر من سمارة». بدأنا العمل بعدها بتوزيع مجلة حنطة وتوثيق انتهاكات داعش والطيران الروسي وآراء الشعب عن داعش.

هذا هو ناجي الجرف الذي صحّح مسار الثورة لدي بعد خيبة أملٍ كبيرةٍ حدثت معي كانت ستؤدي بي إلى التطرّف فكان جوابه: «خال نحنا ولاد كل سوريا» ذاك الخال قال لي يوماً: «رحيم ظبط وضعك خلال كم شهر وهاجر، قلت له: لا ناجي بدي

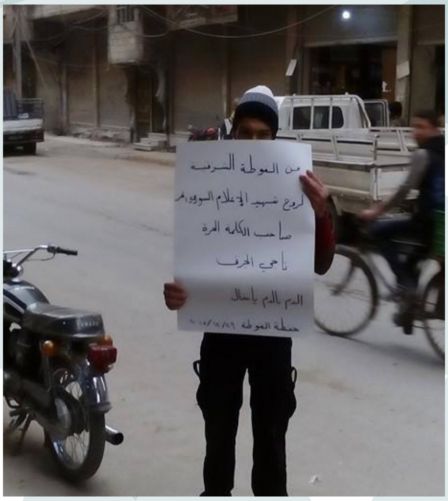

موت عتراب الوطن. قال: رحيم وأنا متلك بس خايف بالنهاية يموت الوطن فينا، رحيم نحنا طلعنا ضعاف لازم نربي ولادنا يكونوا أقوياء والوضع بسوريا رايح عالأسوأ».

ذلك خالي الذي سألني قبل استشهاده بيوم عن «لحشة» كنت قد استعرتها منه في أحد المظاهرات قلت له: «عندي بالبيت»، فقال: «خالي أمانتي عندك إذا صرلي شي ابعت اللحشة لبناتي وقلون أبوكون كان من المتظاهرين السلميين».

أيّ حبٍّ هذا الذي زرعته بي؟

أيّ قلبٍ سيحتمل بُعدك عني؟

الدّم بالدّم.

ويبقى العمل مع المواطنين الصحفيين هو الهواء الذي ينعش رئتي
شباب العدسات لا أملك إلا انتمائي لنبلكم.
ن.ج

أسعد حنا

صديق من آلاف الأصدقاء على «الفيسبوك» لكن جمعتني المصادفة به بعد خروجي من سوريا إلى تركيا، توقعت أن يعاملني باستعلاءٍ كونه من الأشخاص البارزين والمعروفين في الشارع الثوريّ، إلا أن طيبة قلبه وبساطته كانتا طاغيتين على الجلسة، التقيته بشارعٍ مزدحمٍ معتم ليلاً لنذهب بعدها لاحتساء القهوة، لكنّه كان يفضل النسكافيه، كان يميزه جسده الهزيل وكثرة دخانه، فقلت له: «يا خال خفف دخان حرام هيك» فردَّ عليّ: «عندي رئة وحدة يا خالو ومع هيك مارح يقتلني الدخان».

لم يتردد يوماً بتقديم أيِّ مساعدةٍ سواء استطاع أن يقوم بها، أو يدلني على الطريق الذي من الممكن أن أجد به من يقوم بها، كنت عندما ألتقيه في إسطنبول أراه يحمل في جيبه شاحن موبايل وعدداً كبيراً من علب السجائر، لأنّه يعرف بأنه حين يخرج من البيت قد يتأخر لكثرة الأعمال ولإصرار الناس على أن يجلسوا معه وزيارته لهم رغم ضيق وقته، وعند مغادرته نسي الشاحن عندي في المنزل، أرسلت صورته لزوجته «بشرى» لأقول لها بأنه نسيه عندنا، فكان ردُّ بشرى: «ناجي وبعرفو بدي ضل لم الاغراض من وراه».... رحل ناجي، رحل الخال وبقيت الحنطة التي زرعها ليحصدها أبناء أخواته من المواطنين الصحفيّين.

تكبر عائلتي بمئات الأخوة اليوم
ويبقى الضوء هو ما يمسح هذا الوجع
شباب وصبايا الإعلام الجديد
شكراً لوجودي بينكم.
ن.ج

لبنى زاعور

«ناجي الجرف» الطاقة الحاضرة في الثورة السوريّة منذ بدايتها...دون كللٍ أو مللٍ... «وين في ثورة بتلاقي ناجي حاضر» لم يحالفنا الحظُّ والوقت معاً لحضور ورشة تدريبٍ مع «ناجي الجرف» عن السلامة المهنيّة والصحافة، لكن هذه الحادثة الصغيرة التي حصلت أثناء عملي في مجلة حنطة علمتني الكثير من «ناجي» دون أن يحاضر بكلمةٍ واحدةٍ عن السلامة المهنيّة للصحفيّ.

كنت قد أعددت مقابلةً صحفيّةً مع شقيق أحد الأشخاص المخطوفين والمغيّبين في سجون جبهة النصرة، وقمت بإرسالها إلى رئيس تحرير حنطة «ناجي الجرف» وكان سيتمُّ طباعة العدد خلال يومين، وفي اليوم التالي اتّصل بي شقيق الشخص المخطوف لدى جبهة النصرة، وطلب مني عدم نشر اللقاء الصحفي بسبب موافقة جبهة النصرة على التفاوض، وخاف من التسبب بالأذى لأخيه أو إلغاء التفاوض إذا ما تمَّ نشر المادة في مجلة حنطة. شعرت بالإحراج والخوف من أن يكون «ناجي» قد باشر بطباعة العدد، أرسلت رسالة اعتذارٍ وشرحت له الموقف وأخبرته بأنني مسؤولةٌ عن أيِّ تكاليف تترتب عليّ بسبب إلغاء نشر المادة، وبعد مضي عدّة دقائق ردَّ ناجي على الرسالة قائلاً: «يا خالي لا تعتذري ولا تنحرجي، رح ألغي المادة، أرسلي مادة تانية، لا تخافي حتى لو العدد توزّع بكلّ المناطق منسحبو، مستعد ألغي كلّ العدد.. المهم ما يتأذى أي شخص والله يفك أسرو». شهادةٌ صغيرةٌ ومتواضعة عن «الناجي» من الحياة الضيقة التي لم تتسع لقلبه وضحكته.

> **وتبقى صحافة المواطن هي الصحافة التي استطاعت رصد تغيّرات سورية وأخواتها في السنوات الماضية رغم كل ما يؤخذ عليها من سلبيات.**
>
> **#Scp**
>
> **The Syrian citizen press built to last.**

هالأسمر اللون هالأسمراني تعبان يا قلب ويلي

نوارة حاصباني

أول مرّة شفت هالشب الأسمر بريف دمشق بصحنايا، بأحد اللقاءات لجمعية عمل مدني وإغاثي، حاطط هلكميرا حدو وعيونو بتحكي وبتبكي وبتضحك بنفس اللحظة، كان عبيحكي عن حمص وكنا كلنا شايفين الرحلة الي عبيقطعها وقديشو قادر يوصل للحلم.

ارجعت التقيت بهالشب الأسمر النحيف بتركيا، ما كنت أقدر اتذكرون شايفتو قبل، أول ما لفتني حبو لبناتو ونفس العيون الي كانت تحكي وتبكي وتضحك، واتذكرتو.

يوم الي فقدت والدي تحت التعذيب كنت بتركيا ولحالي، لا خي يشد حيلي، ولا أخت تمسح دمعي، ولا أم أوقف حدها واسيها وتواسيني، لقيت حدّي عيلة ناجي، وشو عيلة كبيرة وحنونة، وهو من بعيد كان قادر يخفف هلجرح، وبكلمات من حنطة خلى دموع العين ما تنشف، لترجع تسقي شجر الزيتون ونكمل الطريق بالقلم والصوت.

> **#المواطن_الصحفي_باقي_ويتمدد**
>
> **صحافة المواطن في سورية..**
>
> **رغم جدية الموت في مطاردته لها**
>
> **لكنها باقية وتتمدد.**

قال ناجي بوالدي الشهيد مروان الحاصباني.

هكذا يا مروان ...

هكذا يودع الشهداء أحباءَهم بألا يودعوهم ...

وبدورنا يا ناجي يا أسمر يا حنون ويا بي.

هكذا يا ناجي..

هكذا يودع الشهداء أحبابهم بألا يودعوهم..

رافعين راسنا يا خالي

عروة قنواتي

جملة كان يرددها الشهيد البطل ناجي الجرف كلما شاهد معي عدداً من لاعبي المنتخب الوطنيّ لكرة القدم في شوارع عينتاب، كان يسأل دائما عن المباراة الأولى التي انتظرها طويلاً على أن تقام في ملعبٍ كبيرٍ وسط الجماهير السوريّة وأعلام الاستقلال.

كيف لا يسألُ وهو أول من لبّى نداء أخوته وزملائه في الهيئة العامّة للرياضة والشباب، وقام بتأمين مبلغ التجهيزات والكرات ومصاريف الإقامة لمدة (٥) أيامٍ في مدينة «كيليس» التركية العام الماضي عندما تمَّ الإعلانُ عن ولادة المنتخب السوريّ لكرة القدم.

كيف لا يهتمُّ بأخبار الرياضيّين الأحرار؟ وقد جعل من مجلة «حنطة» منبراً لهم ولأخبارهم ووثائقهم ونشاطاتهم داخل وخارج سوريا، كيف لا يستجيبُ ولا يلبي النداء؟ وهو من قدَّم منحةً ماليّةً لثلاث بطولاتٍ تنشيطيّةٍ في حلب في عام (٢٠١٤)؛ كان منها بطولة الدكتورة «رانيا العباسي» بالشطرنج للأطفال.

وقبل استشهاده بفترةٍ بسيطةٍ كان يحدّثني عن الأمل الجديد للأطفال في الرياضة بعد مشاهدته لميداليات البرونز في بطولة قطر الدوليّة للسباحة باسم سوريا الحرّة.

«رافعين راسنا يا خالي»، جملةٌ لن أنساها أبداً ولن ينساها زملائي ممّن تحدّثوا وسلّموا وحاوروا وحزنوا على رحيل الناجي إلى السماء شهيداً.

رح يتحقق حلمك يا خال، وراسنا مرفوع بروحك الموجودة فينا وحوالينا.

> **عدساتنا المختطفة في معتقلات الظلام، «بيضلهن متل الشتي يدقوا على بوابي».**
>
> **ن.ج**

وائل أبوريان

ناجي الجرف، الذي تعرّفت إليه على «السكايب» على مدى عامٍ كامل من خلال دورات المراسل الصحفيّ التي أعطانا إيّاها، كنت أشعر به الأخ والصديق والمعلم. على الرغم من عدم معرفتي الشخصية به، كنّا كثيراً ما نستغلُّ حديثنا الجانبيّ بالحديث عن الرستن واعتزازه بمدينة الرستن واعتزازه بالنقيب «أمجد الحميد»، الذي تحدّث أمام الأهالي، في مظاهرة يوم الجمعة التي استشهد فيها، بحقّ أهالي مدينة سلمية التي ظلمها أغلب الناس.

«ناجي الجرف» أيّها الصديق والأخ، رفضتُ أن أغيّر صورتي الشخصيّة واضعاً صورتك على صفحتي الشخصيّة في «الفيسبوك»، لأنّي أعتبرك لم تمت، فأنت باقٍ في قلوب الكثيرين ممّن أحبوك؛ منهم من عرفك شخصيّاً، ومنهم شبابٌ في الداخل لم يتمكّنوا من اللقاء، لروحك الرحمة ولذويك الصبر والسلوان.

> **المواطنون الصحفيون هم المرآة الفاضحة للحقيقة على مراراتها، ليس غريباً أن يكونوا هدف قناصي الحياة أينما تواجدوا.**
>
> **ن.ج**

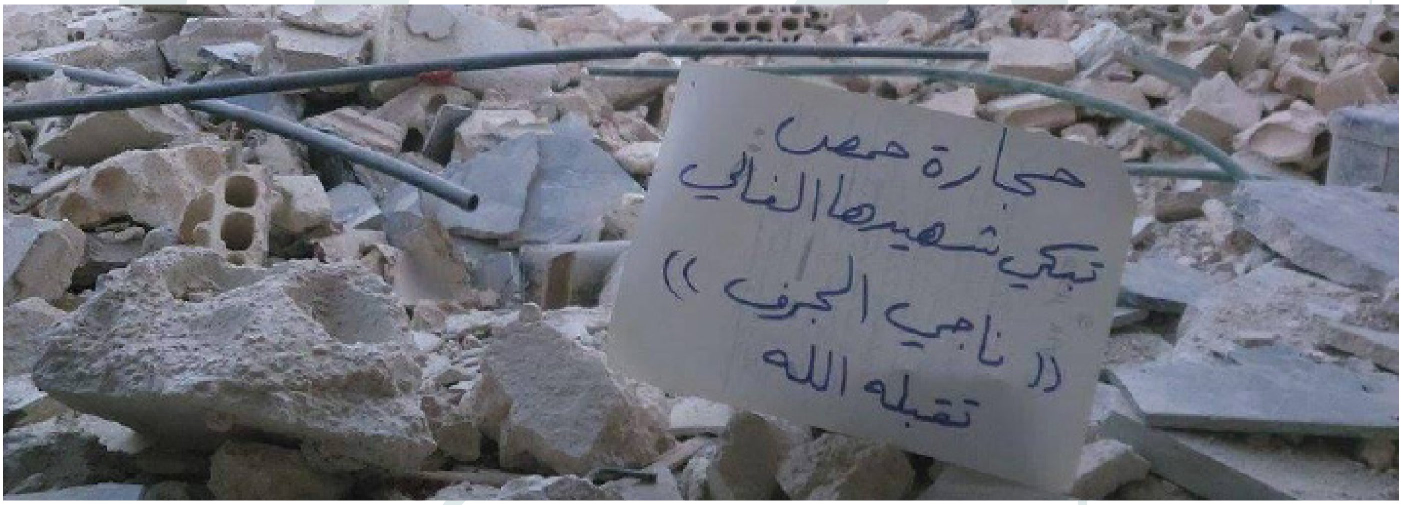

هبة عزالدين

أوّل مرّةٍ زرتُ فيها سلمية، لم تستطع مداركي الصغيرةُ حينها أن تستوعب كلَّ ذاك الحبِّ المصروف في طرقاتها، كحبِّ البدويّ في صحرائه وليست صحراء. كنت عاجزةً تماماً عن أن أخزن كلمات الشعر التي يتحدّثها سكانها على السجية، في أبسط كلماتهم، وكأن الكلام خلق طيّعاً لهم وحدهم. في سلمية، تشعر أنك على جرفٍ عالٍ من الفكر والقهر، ولا أفهم للحظةٍ ترابطهما، لكن ربما الحزن المرصوف في قلوب أبنائها ولَّد كلَّ ذاك الفكر. سلمية كانت الكلمة المفتاحيّة لأتعرف على «ناجي الجرف»، «الخال»، ولم أستطع يوماً أن أناديه باسمه، فهو «الخال» الذي لم تلده جدتك. «الخال»، سوريٌّ أكثر من أيّ سوريٍّ آخر، لكنّ كلَّ تلك السلمية منقوشةٌ بحروفه وضحكاته وحتى حزنه. من يعرف ناجي يفهم تماماً أنه أبٌ لكلِّ فتاةٍ، وأخٌ لكلِّ أنثى، وصديقٌ للجميع، وأن كلَّ بنات العالم عنده هن «إميسا» و«يم». لا أبالغ إن قلت إنه كان الصوت المبحوح لكلِّ سوريٍّ أنهكته الغربة، وأتعبه الخذلان، ومازال صوته يتردد بداخل كلِّ سوريٍّ. ناجي حيٌّ مادامت حناجر السوريّين تصدح، ناجي لا يموت، لأنه سنابل الحنطة والحنطة لا تجفُّ في بيادر الطيّبين.

> **في سورية من جمال الأرواح ما يجعلني دائماً متفائلاً بالضوء القادم من عدساتكم.**
>
> **ن.ج**

أنس الأكسح

لاتزال الكلمات تتزاحم وتتصارع تريد أن تخبر عمّا في مكنونها وعمّا يدور في مخيلتها ولاتزال سفينتي تشقُّ عباب بحر اللغة، لتلتقط الكلمات التي توفيه الحق ولا أظن أن تجدها. نتكلّمُ هنا عن شخصٍ، شخص ليس ككلِّ الأشخاص، شخص امتاز بالإخلاص وحبِّ الناس والعمل، شخص امتاز بروحه الإنسانيّة، شخص أحبّه كلُّ من رآه، شخص وضع الله له القبول بين الناس؛ ما إن تراه حتى تغمر السعادة قلبك وتشعر بأنّك قابلت شخصاً ليس من هذا الزمان؛ فقلبه أبيض كالثلج لم يعرف الحقد والحسد إليه سبيلاً. إنه جنديٌّ يعمل بكدٍّ بكل إخلاص وجد. أتذكر لقائي الأول معه في تاريخ (٢٠١٢/٢/٦): خرج معنا ليصوّر عمليّةً للجيش الحرّ، تركته خلفي فوجدته أمامي، فقلت له: ارجع، ضحك وقال لي: أريد أن أرى دبابات الطاغية تذوب بنار الحرية، حينها لم يصوّر العمل العسكريّ، وبدلاً من ذلك قام بإجراء لقاءٍ معنا عن الطائفيّة وعن مدينة سلمية والحراك الثوريّ فيها، لاحظتُ أنه يسبقنا كثيراً بهذه النظرة «سوريا للجميع»، تعلّمت منه كثيراً وعلمته. إنه صديقي «ناجي الجرف». أسأل الله بمنه وكرمه أن يرزقنا وإيّاه الفردوس الأعلى.

> **لي من «الرواق»**
> **ما يجعلني أغفر لكل شيء**
> **حتى لذاك الموت القادم مسرعاً**
> **وحدكم من يجعل قلبي ممتلئاً بالفرح**
> **بعدساتكم يعود الموت خجلاً حتى من اسمه.**
>
> **ن.ج**

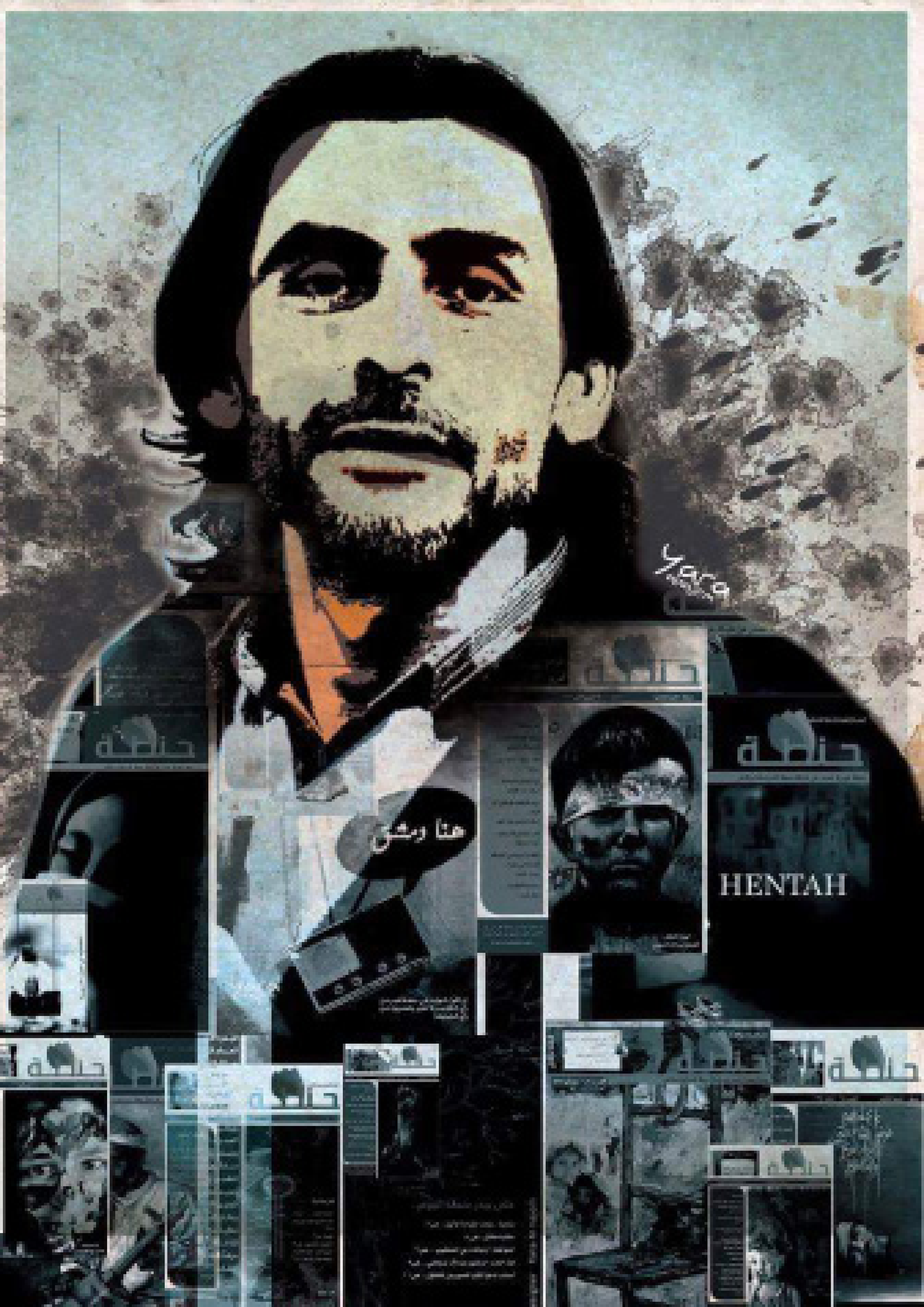
Yaco
هنا دمشق
HENTAH

إلى روحك

أسد دوارة

لا حنظلةَ بعدك ..
لا ضوءَ ينسلُّ من أقلامنا
لا هواءَ يشتاقُ أن يحملَ صوتنا
أيُّها الجميلُ الحالم
بتلّةٍ هناك ..
بمدرسةٍ على الرصيف
أو مقبرة ..
لا شيءَ يُنجينا من موتنا نحن
أعمدةُ
دخان ..

في مدن تتوّجِ فاتحيها
نحن شظايا صمتنا
وانعتاق الروح من قفص الحديد
لا شيءَ ينفعنا ..
سوى النحيبِ المرِّ
ووردتين تكتبان اسمك
في فرحٍ طفوليٍّ حزين
أيُّها الناجي فينا ..
نمْ كما تشتهي ..
لا كاتم الصوت يقتلُ حنظلة

السوريَّ
ولا شتاءَ بارد في المنفى
هي قبلةٌ أخرى ..
ويخرج الصيفُ من سنابلك
من ابتسامتك ..
من صوتك ..
من كلِّ حلمٍ فيك
يعيش فينا ..
ولا ينسى

بكرا ..بكرا، بشوفك!

بسام يوسف

كلّما حاولتُ الكتابةَ عنه، أجد نفسي حائراً من أين أبدأ؟!

صعبةٌ هي الكتابة عن أولئك الذين يباغتك رحيلُهم فجأةً، يحضرون كما لو أنّك تلتقيهم في شارعٍ مزدحمٍ مصادفةً، يعبرون بك وهم مسرعون يصرخون بتحيّتهم ثمّ يقولون لك: (بكرا بكرا بشوفك)، ويرحلون قبل أن تقول لهم شيئاً. تعرف أنّك ستراهم، لكن بالتأكيد ليس بناءً على (بكرا بكرا) التي قالوها، ستراهم بمصادفةٍ مثل هذه، في شارعٍ مثل هذا، مسرعين كما هم دائماً، يلوّحون كما يفعلون كلَّ مرّةٍ، فقط يتغيّر ما يقولون: (خلص وعد قريباً رح نلتقي).

«ناجي الجرف»، أحدُ أولئك الذين ستراهم غداً، لكنّهم حتّى وهم يعبرون بك مسرعين يقولون لك، في رنّة حروف كلماتهم القليلة أو في التماعة عيونهم وتلويحة يدهم، أشياءَ قد لا يستطيع لقاءٌ طويلٌ أن يقولها.

عندما يأتي، يأتي بالطريقة نفسها دائماً، لا يمكنك أن تتلمّسَ أيَّ فارقٍ بينه هذا اليوم وبينه في يومٍ سابق، كلماته ذاتها وحركة يديه وجسده وإيقاع ضحكته وتعابير وجهه ذاتها. وخلال ثوانٍ سيطلبُ كأسَ (النسكافيه) ويشعل سيجارته، وسريعاً تجد نفسك في نقاشٍ عميقٍ، وسيذهب كما هي العادة دون أن تقولَ له ما أتيت من أجل أن تقوله.

في زيارتي الأخيرة لغازي عينتاب، كانت المصادفةُ رحيمةً، فقد كان لزاماً علينا أن نترافقَ ثلاثة أيّامٍ من الصباح حتّى المساء. وفي جلستنا التي سبقت ورشة العمل قال لي: (خيّو بدنا نبقّ البحصة...لا يمكن السكوت أبداً أو المجاملة، فالثورة سُرقت والتجّار يتكاثرون). ضحكت... قلت له: (أيّة بحصة... ليش أنت بتخلّي بحصة بتمّك؟؟). يرهقك وأنت تركض وراء تشعّباتِ أفكاره، يقفز سريعاً من فكرةٍ لأخرى. سوريٌّ بامتياز، بصخبه وحبِّه للحياة وبتلك الألفةِ العميقة التي ينشرها حوله، بتطرّفه وبشاعريّته وبنزقه. هوهكذا.. مقتنعٌ أنّ سورية هي محورُ الكون، وأن لا شيءَ لا يمكنك فعله... «إيّاك أن تسأل سوريّاً عمّا يمكن أن يفعله، فهو قادرٌ على فعل كلِّ شيءٍ من صناعة الفلافل وحتّى قيادة العالم. ليس الأمر مبالغةً وليس ادّعاءً، نعم السوريّون قادرون على فعل كلِّ شيءٍ»، هكذا كان يقول «ناجي» وهو يعبُّ عميقاً من سيكارته، يضحك ثمّ يواصل حديثه «ماعدا أن يعملوا مع بعضهم».

لماذا يستخفُّ السوريّون بكلِّ أنواع الخطر؟ لا يمكنك أن تفهم هذا العناد المتأصّل في روحهم، عندما لا يكترثون بكلِّ ما يقوله المنطق عن الأشياء. أمٌّ تسحب أولادها بعيداً عن الخطر، تلملمهم وتخبّئهم، لكنّهم ينفلتون منها ويركضون، هي تصرخ بهم أن يعودوا، وهم يصرخون بها (بدنا نتفرّج). نعم هم سيتفرّجون فقط، سيتفرّجون على طائراتٍ تلقي جحيمها، وعلى أبنيةٍ تتطاير قريباً منهم. يواصلون فرجتهم، وعندما يعودون يُسكتون لهفة أمّهم بالحديث عمّا شاهدوه.

قلت لناجي: غادر «غازي عينتاب» بأسرع ما تستطيع، هؤلاء لا يعرفون إلّا الحماقات!. نعم عمل «ناجي» على مغادرة غازي عينتاب، لكنّه عمل كما لو أنّه لم يتلقَّ تهديداتهم... كما لو أنّه ينتقل بشكلٍ عاديّ من مكانٍ لآخر.

لا يمكنك أن تقنعَ سوريّاً بجدّيّة الخطر، ثمّة ما هو أعلى من المنطق أو العقل داخل هذا السوريّ العنيد، لعلّه إيمانٌ دفينٌ بالقضاء والقدر، لعلّه التعوّدُ منذ الطفولة على احتمالات الخطر والموت، ولعلّه المبالغة بالقدرة إلى حدِّ اللامبالاة.

«ناجي» الآن يعبر شارعاً مزدحماً، يرفع يده التي تحمل علبة سجائره، يصرخ بي (بكرا بشوفك). أضحك وأواصل طريقي، وأنا واثقٌ بأنّني سأراه غداً.

عمل للفنّان عماد رشدان

بعض الفراغات داخل الكادر

بشرى قشمر

عمل للفنان أسامة دياب

أنت من أيقظني للتو؟ طلبت منك أن تعود، ولطيبك زرتني. أهلاً بك يا سيد لحظاتي، وقد طرأت الآن، اعذر تلبّكي، ولا أسألك على سبيل المزاح، مع من أتعامل بالضبط في هذه اللحظة؟ معك؟ أم مع غيابك؟ مع لحظاتنا وحضورك؟ مع موتك؟ أم مع قاتليك؟ من منكم حلّ عليّ ضيفاً الآن؟ آه نعم، لقد حزرت هوية موقظي ليس وجهك ما أيقظني، وليس الألم، ليس الاشتياق هذه المرّة، بل الحريق. على أية حال أبشّرك أنّي وجدت اليوم ما تبقى من أقلامك في زاويةٍ مخفيّةٍ من حقيبتك، شكراً لأنك تركت لي في هذا المنفى أداةً للحوار، لن يتوجب عليّ إذاً البحث عنك والتحدّث معك عبر الفيسبوك.

اسمع؛ علينا أن نتفق على بعض الشروط لبدء المحادثة، أعرف أنك ستحتجّ على أغلبها لكنك إن نظرت في عينيّ الآن.. ستقبل.

أولا: أريد الخوض في التفاصيل؛ الأمر الذي لا تطيقه، وليست لديّ أية رؤية، ولن نصل إلى أيّ مكان دون تفاصيل، وسأصرّ بشدّةٍ هذه المرة، جرّب أن توقفني.

إليك إحدى المحددات لهذه المحادثة: «الفجيعة»: هل فكّرت بها وأنت تُغادر بي نحوها؟ هذه مفردةٌ جديدةٌ لم نتطرق إليها من قبل، أليس كذلك؟ هل أعجبتك؟ لديّ واحدةٌ أغرب.. «الجريمة». خلال الحديث وبسبب غرابة الظرف ولأنني اشتقت إليك، سأسمح لك أن تقول لي (مدام) على سبيل الغزل ولن أغضب هذه المرة..قُلها.

ثانياً: ستحبّ هذه الفقرة بالتأكيد: «التدخين لا يقتل صاحبه»، هل ارتحت الآن؟ بخصوص «النسكافيه»، أعترف أنها ليست سيئة المذاق، لكنني لا أحبّ تناولها مباشرةً، أفضّل أن أعانقك ومساماتك تنضح برائحتها؟ هل فهمت الآن؟

ثالثاً: مرّةً أخرى أحذّرك بأنني أريد الخوض في التفاصيل، لا يحقّ لك الاعتراض، انظر إلى ما تركته لي، ملايين التفاصيل، سنحتاج إلى الكثير من الوقت لتوثيقها وتصنيفها، أنت ماهرٌ في التوثيق والأرشفة. إمّا أن تعود الآن لتعلّمني، أو أن تقبل طريقتي، سيكون الأمر مرهقاً أعلم ذلك، لكننا في النهاية سنحصل على مادّةٍ متقنة.

رابعاً: الوفاء حتى في أصغر التفاصيل يضرّ بالقلب يا ناجي، ويؤدي إلى أوجاعٍ خطيرة، ألا يمكننا أن نعيد تصوير هذا المشهد مرّةً أخرى؟ السيناريو كالتالي: لا تفي بوعدك، واترك قاتلك ينتظر قدومك، ولا تأتِ إليه حاملاً فناجين القهوة المرّة، اضحك بمكر طفلٍ وأنت تغادر عينتاب، تاركاً اسماعيل يرتبك ويعتذر من أمرائه في وضباطه، ويقول لصبيانه: «ظننت أنه سيأتي حتماً، فهو وفيٌّ عادةً، هذا غريب! أعيدو المسدس إلى حجركم.. سيرجع يوماً إلى عينتاب».

خامساً: أودّ إخبارك بسرٍّ صغير، خططتُ أن نسهر الليلة الأخيرة في عينتاب على قراءة رسائلنا القديمة، أتذكرها؟ أنت لا تعرف أنني ما زلت أحتفظ بها، كعادتك في حمل حقيبتك التي لم توضبها يوماً بنفسك. أعددت لك المفاجأة، وها أنا أفسدها، لا أعرف ماذا دهاني مؤخراً فأنا لا أستطيع التركيز جيداً على أية لعبةٍ أو حيلة.

سادساً: جلجامش، إلكترا، وغيرها، إنها أساطير اخترعوها في الغالب ليخلقوا وهماً اسمه الموت الذي لا عودة منه، إنها على الأغلب سياساتٌ غربيّةٌ مرسومةٌ منذ القديم لجعلنا نقبل الأمر الواقع دون نقاش، والأديان كانت داعمةً أساسيةً لهذه السياسات المذلّة، أجل، من قال أنني يجب أن أصدق الأكاذيب، عاد أحدهم من الموت، أو سيعود، هل تكرّم و«تكون»؟ لن أخبر أحداً أنك فعلت.

سابعاً: اعذرني لأنني ما زلت أرفض ما ورد في الصحف عن موضوع دمائك وما رافق الأمر من صورٍ غامضة، فهي تبدو مختلفةً اليوم، اعتدنا أن نحصي سويةً كلّ الجراح، الندوب الدائرية والخطوط المتعرّجة الناتئة، والأسرّة

البيضاء، ومفجرات الصدر المليئة بالدماء، تعال نتحدث عن المستشفيات والعمليات الجراحيّة، يبدو هذا الحديث ممتعاً الآن، تعال نجرّبه، سنضحك كثيراً أعدك بذلك. عد إلى المستشفى مثلاً، لن أكون طمّاعةً وأقول لك: عد إلى البيت.

غاب عنك مشهدٌ لم ترصد نتائجه، انظر إلى يدي، قبل رحيلك بساعات تسببتَ بحرقٍ على إصبعي ما زال موجوداً، وبحرقٍ آخر على سجادة مروان، كنت تريد أن تضع يدك فوق يدي وفوجئنا بسيجارةٍ مشتعلة، لم أخبرك أنني تألّمت، ولم يمنع ذلك يدينا من العودة، أنا عالقةٌ عند هذه اللحظة منذ أيام، قلّ لي، ما الذي تفكر به؟ بماذا أنت عالقٌ اليوم؟ لماذا لم يقل أيّ أحدٍ شيئاً عن عودتك؟ كيف ستكون؟ من منّا سيصل إليك أولاً؟ هل ستفاجئني أم أنني سأمسك بك متلبساً؟ أريد الخوض أكثر في هذه الفكرة.. ردّدها على بالي وسأغفو دون أن أزعجك، وسيكون بإمكاننا أنا وأنت أن ننام باكراً اليوم.

ما هذه الفوضى؟ الانشغال والإسهاب، التعمّق والتكرار، النزق والوداعة، السخافة والنبل، كيف استطعت أن تفعل كلّ ذلك بي؟ ما الذي حدث؟ هل عرفت بأنّي أراقب تطوّر جمالك بذعر، فرحمتني وتوقفت عن التقدم في العمر؟

خفف من التباهي وأكثِر من الردود على تساؤلاتي لو سمحت، فأنا لا أستطيع إكمال الصورة أو ملء الفراغ، كما أنني حصلت حتى الآن على عدّة عناصر كانت مفقودة، الكاميرا في هودجها كما تحب أن تسمها، القميص الأبيض، البدلة السوداء مع الشرائط الخمرية، لوحة المفاتيح الزرقاء، الكرسي الأسود، تقريباً ستكتمل الصورة أمامي، ينقصها وجهك والأصابع، كيف سأحصل على البقيّة؟ أين الصدى! أين الصدى؟

عمل للفنان رائد القطناني

«ناجي الجرف» لك المجد

جبر الشوفي

أن تختزلَ إنساناً معطاءً كبيراً كناجي الجرف بعموميّة الصفات، فكأنّك تختزلُ البحرَ بالملوحة وحمل السفن، لأنّك مهما أجملت وفصّلت، فسيظلُّ شيئاً عصيّاً على الوصف، وأشياء دقيقة تتفلت من بين أصابعك وأخرى تختبئ خلف سطورك، وما هي إلا أشياءُ من خصوصيّات «ناجي» ومتعلّقات القلب والروح والفكر والكيان، إذ من ذا الذي يستطيع أن يحيطَ بكيان إنسانٍ، شاملٍ مشبعٍ بالصفات ومكتمل البنيان.

من يجرؤ أن يختزلَ شخصاً، كان يقف شامخاً على جرفٍ صخريٍّ وسط تلاطم الأمواج، وكنّا نتأمّله ونتوقّع أن يكون الناجي قبل كلِّ الناجين، لأنّه محبٌّ، والمحبّون لا يموتون، ولأنّه ممتلئٌ بالطاقة الحيويّة وبالكياسة والإنسانيّة، ولأنّ إنسانيّته ومحبته ودماثته تجلّت زوجاً محبّاً وأباً يفيض حناناً ودفئاً، ومعشراً طيّباً، وصديقاً صدوقاً لقلمه كما لأصدقائه وندمائه وشركائه في كلِّ منحى، لكنّه لم ينجُ كياناً بل نجا اسماً اشتهاه الخلود فاستعجله كما استعجل قبله كلَّ الأبرار والصدّيقين، لم تمهله طلقة الكراهية كي يكملَ مناغاة طفلتيه وتقبيل حبيبته ووداع أصدقائه!

الكراهية جاءته بجبّةٍ سوداءَ، يسكنها العثُّ وينخرها عفنُ القرون، ولأنّها عصابيّةٌ مجبولةٌ على النفور من الجمال ولأنّها همجيّةٌ، تكسر كلَّ اكتمالٍ خَلقيٍّ وخُلقيّ، أطلقت عليه فتجاوبت أصداء روحه وانقصفت كانقصاف هيكلٍ كرستاليٍّ من نقاء ثلج الجبال. انقصف «ناجي» فانكسرنا جميعاً بصدى انكساره ولكنّ روحه نبّهتنا لكي نجبّر انكسارنا، ونحفظ بعض النقاء المتبقّي في دواخلنا قبل أن يقصفه العصفُ الداعشيُّ الأسودُ المنبعثُ كقطعان وحوشٍ من ردهات قصر «المهاجرين» وقصر «الشعب»، الذي لم يكن إلا قصراً لقهر إرادة الشعب وتفصيلها على مقاس الحاكم النرجسيّ المتألّه الخائضِ بدماء شعبه.

ويرحل «ناجي» دونما استئذانٍ أو وداع. يرحل ليبقى ضجيجُ روحه المتوثّبة «متعمشقاً» على أرواحنا، يخضّها في كلِّ لحظة استذكار، فكأنّنا نسمع دويَّ رصاصةِ الغدر لأوّل مرّةٍ من جديد. ولأنّ كلَّ من هو بسطوع شخصيّة «ناجي» بتوثبه بصدقه وحيويته لا يُصدّق رحيله، حتى كأننا نغمض أعيننا ونصمُّ آذاننا كي لا يتسربَ إليها النبأ المشؤوم، ولكي نصونَ في وجداننا ابتسامته الواثقة ونظرته النافذة وكيانه المقدود من روحٍ وريحان.

«ناجي» كنت فينا روحاً خافقةً لائبة، تبحث عن نظيرها وظهيرها لتحفّزه، وتبحث عن سندها لتكون له سنداً، تبحث عنّا نحن المفجوعين بموتك لتعاتبنا ولتعزّينا بك، وكأنما يقلقك في رحيلك ما تناهى إليك من عويل أرواحنا الهلعة الغاضبة المشفوعة بصبر، لم يعزّها إلا لكي تحملك إلى مثواك جميلاً، كما عهدتك دائماً جميلاً!

الحريةُ جوهرك، والديمقراطيّة نهجك ونسيج علاقاتك مع من أحببت ومن رافقت وصادقت، فعرفك كلُّ من لم يعرفك بفيضٍ من دموع محبّيك السوريّين، الذين التمّوا والتقوا على حبّهم وجزعهم ووقوفهم مع الأهداف التي كنتَ أحد روّادها.

ناجي» أيُّها الحرُّ وأنت ترحل، هل صادفتْ» روحُك الهادئة أرواحنا الهلعة المجنونة، وهي تبحثُ عن أثر الطلقةِ الغادرة التي أردتك فحيّدتك عن أتراحنا وأفراحنا المؤجلة إن كان قد بقي لنا شيءٌ من فرحٍ قبل يوم الخلاص من الطغاة الذين حاربتهم بالكلمة وبالصوت والصورة، وحاربتهم قبل ذلك بصفاء روحك الرافضة لعفونة الأقبية الرطبة، حاربتهم لأنّك ككلِّ الكبار تشعر بالمسؤوليّة، حتى لكأنّك المسؤولُ الوحيد المكلّف بالدفاع عن بؤس وطننا الذي أحاط به الشرُّ والأشرار من كلِّ صوبٍ، وبه ومن أجله، تنطّحت لكلِّ السواد والعتمة والعته والمهووسين ووعدت المحرومين بـ«حنطتك»، وأنت الأعلم برمزيّة الحنطة، تعمّقت كلّما ازداد انفلات النظام من كلِّ مسؤوليّةٍ أخلاقيّةٍ ووطنيّةٍ، وأمات أطفالها ونساءها، المتبقّين من براميله وقذائفه، جوعاً، وكلّما أوغلَ في بيع البلاد والعباد إلى الغزاة القادمين من كلِّ مناحي الأرض والسماء!

أيّتها الأيدي الملوّثةُ بالدم والجريمة، لن تحجبوا الشمس التي دافع عنها «ناجي»، وقدّم دمه لأجلها، لأجل راية الثورة وقيمها وأهدافها النبيلة.

ناجي الجرف .. لقد كنت غيريّاً حميميّاً ومنبراً للثقافة الوطنيّة الديمقراطيّة، لم تطمع بشيءٍ ولم تخف من شيء، لذلك عشتَ حرّاً ككلِّ من يعيش لغيره ويموت نيابةً عن غيره. وبهذه الغيريّة النبيلة، أخذت مكانك في موقع القلب عند الجميع، فعدُّوك أقربَ من صديقٍ وأعزَّ من رفيقٍ ولساناً معبِّراً عنهم إذا خانهم التعبير أو تعثَّرت بهم السبل.

مرٌّ وموجعٌ موتك يا «ناجي»، و طعمُ الغدر والجريمة أكثر مرارةً ووجعاً، ولكنّ عزيمة الثوار أمضى، وقد عاهدتك على حمل قضيّتك إلى أولادهم وأحفادهم ليقولوا لهم: هذه الحريّة هدية «ناجي» ومن على درب «ناجي»، فانعموا بها واحفظوها ولا تغمطوها حقّها، ولا تتخلّوا عن مسؤولياتكم تجاهها، لأنّ الحريّة ما هي إلا الوجهُ الساطع للمسؤوليّة والنبل!

وداعاً «ناجي»: سنظلُّ نبكيك ونحسبك في عداد الأبرار والصدّيقين، حتى يبزغ فجر الحقوق والمواطنة في سوريّتك التي أحببتها ومن أجلها حملت الراية. العزاء لنا معشر الديمقراطيّين، لحبيبتك «بشرى» وطفلتيك، لعائلتك وأهلك ومحبّيك وما أكثرهم، إنهم من زفّوك بعلم الحريّة، ومن بكوك بحرقة قلبٍ وحملوك على الأكفِّ أو ظلّت أرواحهم تهتفُ لك من بعيد، ولم يتسنَّ لهم أن يودّعوك من قرب، فأودعوك المهج والخواطر والدم والدموع!

ألا شُلّت أياديكم أيُّها المجرمون والقتلة، ألا شلَّت أياديكم أيُّها الوالغون بالدم، وعاشت قضيّة «ناجي» قضيّة الشعب السوريّ الأبيّ، والرحمة للشهيد وكلّ شهيدٍ حرّ.

«ناجي الجرف» منمنمات على جدار القلم

حسن اسماعيل اسماعيل

عمل للفنان محمود سلامة

السلمية: نعم، هي صرخةُ الوجود الصاخب لأمومة الشام.

مدينةٌ وادعةٌ على هيئة فراديس الأمل الجانح، يغتاب بذخ اللون فيها أئمةٌ مترفون ببهج الكلمات، أئمةٌ سدنة يرصفون طوب أيامهم الخصبة معابدَ، تذخر أرواحها النفيسة برُقمٍ صكّت من سبائك الآلهة الثريّة بأزليّتها أبديّتها، الآلهة التوائم الخمس المتجاورة كأنامل اليد البشريّة، تترصّد الكمال في مناسك حواريها.

الأدب ... الفلسفة ... الموسيقى ... الرسم النحت (ربات الخلود الماجن بالنور).

السلمية: أمٌّ خصبةٌ، بارك رحمَها المقدّس آلهةُ الربيع.

روت بصدى النسيم في بيدرها المشاع تعاويذَ بركتها الخضراء اليانعة.

بذرت في الحقول المنتشية بالنور شجيراتِ الخير المعطاء وزهرات النغم الصافي كينابيع الفردوس المعهود في رواية المرسلين.

بذرت على شفاه النهر الهادر بضحكته العذبة بصيلات النرجس الذهبيّ (السلالة النقيّة للأب الأزليّ للوجود .. الشمس).

«ناجي الجرف»

سليلُ النرجس البهيّ، الطفلُ البارُّ لأبيه النور، العاقُّ للخيبة، للظلام، للقيود المذهّبة بالعطايا.

يشدو في الصباحات المعطَّرة بشذا الأرض، لفراشات حقله، أغنية عينيه الجامحتين كأحصنة الروم وهي تقتل المسافة والجهات والحدود.

يهمسُ في الأماسي المتَّشحة بحرير القمر المذهّب، لعصافير بيدره الصادي، حكايةَ روحه المجنّحة وهي تداعبُ أشجارَ السرو والحور وقمم الأحلام تبحث بشغف التائه عن نورٍ لا يخبو ولا يخنقه ظلام البشر المجنون.

كانت الغيمةُ قاتمةً كالموت، شاحبةً كوجه آلهة الجحيم ... عابسةً تزاحم النور سطوة المدائن والحقول والبراري والقفار. كان النور الفتيُّ يشيخُ ويتهالك في حلبات المبارزة العاهرة، ويدعو أبناءه للرحيل.

«ناجي الجرف» كأيّ سوريّ، حمل وطنه في حقيبة سفرٍ وأودع أحلامه النديّة كالنرجسِ البريّ صرةً من المتاهة ساقه شهدُ المكيدة لفخاخ أناضول، يتخبّط في رحلة الفصول وقد أضناه هول الشتاء وامتداد الصقيع في دمائه الناضحة بذكرى الياسمين والعنادل والنور... يستدرك الزمن والوجود لمراثي وطنٍ مشلولٍ كسيح...

كان يتوقُ، في لهفة الفراشاتِ لنور الشمس رغم احتراقها به، إلى المكان ذاته... الأرض ذاتها... الجنوب ذاته المتخم بالدم والموت والرحيل... إلى سورية وطن الخيبات الموغلة في الزمن... وطن الأمنيات المؤجّلة الدمثة كطفلٍ استمرَّ يحبو ويحبو دون أن يراوده صلفُ المشي ونشوة الركض.

الأسماء... الألقاب... الملامح النافرة من الوجوه هي كالمقادير في مقياس القدر الأعمى... هي مفاتيحُ لطلاسم القضاء الهيم، هي كالتوابل في ولائم المستقبل.

«ناجي» اسمٌ يسرف في المشيئة، ويجادل المكنات بلسان السعادة المفقودة... اسمٌ موغلٌ في تاريخ النشأة، يستشعر النجاة من لجّة الغرقِ، لكنّه عبثاً يحاول النجاة من دوّامات المياه البشريّة الماكرة كثعالب الغابةِ البدائيّة...

«ناجي»

ميراثُ القلم الشهيد يخلق ألفَ «حنظلة» (بدعة السخرية في مقادير شعب المخيمات).

ناجي العلي» ضحكة الوجودِ القاتم لشعبه النازف، يعلو بمرارة الرحيل كاحتساء الحنظل.

«الجرف»... اسمٌ باسقٌ في الهيئة لكنّه يختصر سلالة الهاوية نحو المجهول.

بين «ناجي الجرف» و«ناجي العلي» ألفُ أنشودةٍ و ألف حكاية، حكاية قلمٍ وسيرة وطنٍ... قلم يرسم وقلم يكتب... قلم يغني وينشد وقلم يبني ويثور... قلم يخلق الشمس ويهتك سطوة الظلام ... قلم يهندس الفراديس بألوان الأمل ... قلم يقتصُّ من غواية القيود ويعرّي مكائد المتخمين على موائد الأوطان ... قلم يشدو نبوءة الحريّة.

بين «ناجي العلي» و«ناجي الجرف» ملحمةُ الرصاص تقتلُ أرواحنا قبل أن تهذي بدمائهم الزكيّة ككوثر الفراديس.

«ناجي الجرف» توأمُ الحنظلة، سليلُ البسمة المعطّرة بكافورِ الأمل، هو قدرُ الحنظلة، تموت حبةٌ تحت الثرى لتخلقَ مئة حبةٍ روحه خصبةٌ كالفرات هائجةٌ كدجلة لن تموتَ مهما كان الغدر صامتاً أبكم كان الرصاصُ بارداً كالجليد القطبيّ، صامتاً كالعالم السفليّ، صاخباً في صمته كالجحيم...

لم يكترث للجسد الربيعيِّ المكسيّ بالورود والأقمار والنجوم وسلالات الطيور الملوّنة...

«ناجي الجرف»... أبجديَّةٌ

ميراثه سرمديٌّ كالوجود، ثمينٌ كالحياة حقولٌ من السلام وبيادرُ من المحبة تترصّد ميلادها مهما طال قحط السنين، تنتظر سواعدنا الخاملة أن تنحت الوجود، أن تصارع ثيرانَ الجدب وأفاعي الظلام لتخلق النور.

نعم أبكاني «ناجي» لأنّه عاش فينا... في أرواحنا العطشى لهداية الحريّة.

«ناجي» صلاةُ الحرية لأرواحنا التائهة... لن نتوقّفَ عن صلاة الحريّة لا لن نتوقّف...

ظاهرة اغتيال النشطاء السلميين
مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين نموذجاً

خالد أبو عيسى

لطالما استهدف الاستبداد بشكليه: القديم والجديد الناشطين السلميّين في ظلِّ الثورة السورية؛ لأن النظام كان يدرك أن «كعب آخيل» بالنسبة إليه هي السلمية والحراك المدني، فساحته هي العنف والقتل والدمار وهذا ما لا تحققه سلمية الناشطين له، فهو في حاجةٍ إلى أعداء من جنسه يجرون الثورة إلى العنف والتسليح عندها يكون هو المسيطر كونه يعلم أن لديه ما يكفي لقمع الثورة ولاسيّما أنه احتكر العنف والقوة على مدى سنوات حكمه. وبالفعل كان له ما أراد بعد أن ارتكب الموبقات بحقّ الشعب السوري الثائر، حيث بدأت تظهر قوى من جنس النظام نفسه ساعد في تقويتها غياب الناشطين السلميين بعد أن قضى النظام على أجيال الثورة الأولى قتلاً واعتقالاً وتشريداً من جهةٍ، ونمو الخطاب الديني الذي دفع إليه النظام أيضاً من جهةٍ أخرى. وقد تشارك النظام والمستبدون الجدد (داعش ومن لفَّ لفيفها) في استهدافهم للناشطين السلميين من غياث مطر الذي قتله النظام إلى ناجي الجرف الذي اغتالته أيدي الظلام، وما بينهما آلاف الناشطين السلميين. لتبقى الثورة في ساحة النظام ورهاناته، أي الرهان على الثمن والزمن الذي سيدفعه كل الأطراف، الرهان على الدم السوريّ/ السوريّ.

ولقد تجلّت إستراتيجية النظام في قتل الناشطين السلميين بشكلٍ واضح في مخيم اليرموك الذي كان يضمُّ الكثير من الناشطين السلميّين ويعود ذلك لرغبة الفلسطينيّين في تحييد المخيم عن الصراع المسلّح ولاسيّما تنسيقية مخيم اليرموك، لذا كان مخيم اليرموك وناشطوه السلميّون هدفاً للنظام والمليشيات الفلسطينيّة الموالية له مصرين على زج المخيم في الصراع المسلّح. وبلغت هذه الإستراتيجيّة ذروتها حين قامت طائرات النظام بقصف المخيم بالصواريخ، مما أدّى إلى وقوع المجازر البشعة بين صفوف المدنيّين فيه، ولاسيّما مجزرة جامع «عبد القادر الحسيني»، الذي كان يقطنه مئات النازحين السوريّين الفارين من المناطق المجاورة للمخيم، واستشهاد العشرات منهم فلسطينيين وسوريين. وقد أدّى هذا الأمر في اليوم التالي لمجزة «الميغ» في تاريخ (١٧ ديسمبر / كانون الأول عام ٢٠١٢) إلى نزوح معظم سكانه منه مضطرين، و لم يتبقَ منهم إلا القليل الذين أصروا على البقاء فيه، وقدر عددهم بأكثر من (٢٠) ألف مواطنٍ.

أطبقت قوات النظام السوريّ ومليشيا «أحمد جبريل» على المخيم بعد ذلك التاريخ بستة أشهر حصاراً شاملاً،ومازال مستمراً حتى أيامنا هذه،ومُنع السكان من الخروج والدخول إليه، بالإضافة إلى منع دخول الأغذية والأدوية إليه، وانقطاع التيار الكهربائيّ والماء عنه، واستمرار القصف بالمدفعيّة والبراميل المتفجرة، حيث تعرّض الكثير من سكانه على أثر ذلك إلى الموت بسبب الجوع و المرض الناجم عن نقص المواد الغذائيّة والطبية، وعدم توفّر الأطباء الذين هربوا من الحصار بسبب بطش النظام بهم، هذا بالإضافة إلى استشهاد العديد منهم بسبب عمليات القنص والقصف المستمرّة.

دفعت هذه المعاناة الفائقة بالنشطاء السلميين إلى القيام بواجباتهم الإنسانيّة تجاه المواطنين المحاصرين في اليرموك؛ حيث كثفوا من نشاطاتهم ومساعدتهم للتخفيف من وطأة الحصار الخانق، عن طريق إدخال المساعدات الغذائيّة والدوائيّة من خلال تواصلهم مع الجمعيات الخيريّة وغيرها من المنظمات الدوليّة التي كانت تقدم الدعم للمواطنين المحاصرين، وإيصالها إليهم بشقِّ الأنفس، مخاطرين بأرواحهم أثناء ذلك نتيجة تعرّضهم لعمليات القنص على حاجز النظام

عمل للفنّان منير الشعراني

المتواجد في أول شارع اليرموك القريب من منطقة «الريجة»، أو الاعتقال، كما حدث مع الناشط الإغاثيّ الفلسطينيّ السوريّ «فؤاد العمر» (أبو باسل)، فقد تمَّ اختطافه في (٢ فبراير / شباط) من قبل المخابرات السوريّة أثناء قيامه بعمله الإغاثيِّ، وأعلن ناشطون عن استشهاده تحت التعذيب في أقبية النظام السوريِّ بعد شهر من اختطافه.

الملفت للنظر أن اغتيال النشطاء السلميّين في مخيم اليرموك أصبحت ظاهرة شبه يومية في المخيم، وقد وصل عدد الناشطينالذين تمَّ اغتيالهم إلى أكثر من (٢٠) ناشطاً، بحسب ما وثقته «مجموعة العمل من أجل فلسطيني سورية»، ومن أبرزهم : «بهاء صقر» وهو عضو في تجمّع أبناء اليرموك، تمَّ اغتياله في (٢ آب عام ٢٠١٤)، وفي (٢٠) من هذا الشهر اغتيل الناشط «أحمد السهلي» (أبو عادل) أثناء خروجه من الجامع بعد صلاة العشاء في حي العروبة، وفي هذا الشهر أيضاً اغتيل الناشط «عبدالله بدر» (أبو عدي)، كما اغتيل في (نوفمبر / تشرين الثاني) الناشط السياسي «علي الحجة» المعروف بمعارضته للنظام السوريِّ، كما تمَّ اغتيال الناشط «أحمد خليل» (أبو العبد شمدين) في صباح يوم (١٧ يونيو / حزيران عام ٢٠١٤)أمام جامع «عبدالقادر الحسيني» أثناء تأدية واجبه الإغاثيّ، وهو عضوٌ في لجنة الإغاثة العليا للمخيم، وفي (٢٣ ديسمبر من عام

٢٠١٤) اغتيل «محمد طروية» مسؤول ملف حركة فتح في مخيم اليرموك. استمرَّ مسلسل الاغتيالات في مخيم اليرموك المحاصر عام (٢٠١٥)، فقد اغتيل في الشهر الأول منه الناشط الإغاثي «محمد عريشة»، مسؤول تجمّع أبناء اليرموك أحد أعضاء الهيئة الخيريّة، ومؤسس مؤسسة همسة الطبية. كما اغتيل بأوائل شهر شباط من عام (٢٠١٥) الناشط «نمر حسين» أمام منزله برصاصة قناص، وفي (٢٣) من هذا الشهر اغتيل الناشط «فراس الناجي» في منزله حين كان نائماً برصاصة كاتم صوت برأسه، المعروف بنشاطه الحثيث والدؤوب في تخفيف المأساة التي يعاني منها المحاصرون في اليرموك، وفي ذكرى يوم الأرض في تاريخ (٣٠ مارس / آذار) اغتيل الدكتور «يحيى حوراني»، وهو من أهالي مخيم العائدين للاجئين الفلسطينيّين في حمص، وقد كان من أبرز أطباء اليرموك، وعضواً في عدّة منظماتٍ إنسانيّة وإغاثية، ومدرباً دوليّاً معتمدا من اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر، ومسؤول التنمية و التدريب في هيئة فلسطين الخيريّة، واغتيل في (٢٨ أكتوبر / تشرين أول) «أبو أحمد هواري» عضو المكتب السياسيّ للجبهة الديمقراطيّة لتحرير فلسطين في مخيم اليرموك بإطلاق النار عليه في «حي المغاربة»، وطالت أيادي الغدر أيضاً الناشط الإغاثي «مصطفى شرعان» (أبو معاذ) أثناء خروجه من جامع عبدالقادر الحسيني بعد صلاة التراويح، وهو مسؤول هيئة فلسطين الخيريّة سابقاً، كما استهدفت الاغتيالات في تاريخ(٣ أوغست / آب ٢٠١٥) الناشط الإغاثيّ «إياد أيوب» عضو الهيئة الوطنيّة. الجدير ذكره هنا أنه بعد تفاقم عمليّة الاغتيالات في اليرموك، وعلى رغم استمرار حصاره من قبل قوات النظام، وتداخل الأوراق بين داعش والنصرة في المخيم، قيدت كلّ تلك الاغتيالات ضدَّ مجهول، الأمر الذي جعل المهتمين بشأن اليرموك من نشطاء سياسيّين، ولاسيّما المعارضين منهم إلى طرح أسئلةٍ عديدةٍ منها: ما هو الهدف من هذه الاغتيالات؟ ومن يقف وراءها؟ لقد كان واضحاً لدى العديد من المراقبين، أن من يقف وراء كلِّ تلك الاغتيالات للنشطاء السلميّين هو من كان يصرُّ على رفع الغطاء عن سلمية الثورة السوريّة، وإعطائها الوجه المسلّح فقط.

عمل للفنان رائد القطناني

إلى آخر الشهداء «في رثاء ناجي الجرف»

رامي العاشق

هم يرقصونَ الآنَ..
خُذْ دربَ الغيابِ إلى نهايةِ ما بدأتَ،
تريدُ أن تحيا؟
سيكتبُ شاعرٌ من غربِ جرْحكَ:
«كان حيًّا»
وسيرقصونَ مدى الفجيعةِ
قُلْ لدمعكَ: «كُنْ عصيًّا»
وإذا أردتَ الموتَ، مُتْ!
وحذارِ أن يَهبوا رفاتَك أغنياتٍ
أو رخامًا
مُتْ..
بصوتِ المجزرةْ ..
وارحلْ عويلًا في الجموعِ..
وعِشْ عويلًا بعدَ موتِك..
واضحًا حيًّا جليًّا ..
واحذرْ رخامَك ..
كُن كثيفًا كالترابِ وكُنْ طريًّا..
واحذرْ رُخامَك ..
لا تكُنْ حجرًا بعيدًا عن ضجيجِ شجارِهِم
واسمعْ أغانيهِمْ.. صلاةً كافِرةْ!
واسرحْ بأقصى ما استطعتَ من الخيالِ

سيرقصونَ ..
وليس ثمّة آخرةْ !!
وسيرقصونَ .. وأنت تعرفُ !
لا تجرّبْ أن تكونَ مسيحَهم !
بل كُنْ وحيدًا ..
طائرًا ..
نبأً عتيًّا ..
وارقص لهمْ تحتَ الترابِ، وفوقَهُ
وارقصْ؛
ستُنسى حين تقبلُ بالسكونِ
فكُن شقيًّا!
هم يرقصونَ
حذارِ أن تعطي الحياةَ مجالَها
لتقول: كانَ!
وكُن دمارًا
كن حريقًا
لن تدمّرَ في رحيلِكَ قلبَها ..
إن لم تكنْ شبقًا شهيًّا!
يا آخرَ الشهداءِ
صدّقني ستُنسى حينَ تغفو
فالبكاءُ

بكاؤهم في باب موتٍ طازجٍ
يأتي سريعًا
ثم يذهبُ كالدّخانِ
لذا تعلّم كيفَ تجعلُ من رحيلِكَ
ألفَ نهرٍ عابرٍ متجدّدٍ
لتظلَّ جرحًا في وجوهِ الله،
جرحًا نازفًا ودمًا سخيًّا
حيّاً!
ستسقطُ كلُّ عاصمةٍ أمامَك
فارْوِ عن أصلِ الفجيعةِ
كيفَ شئتَ
وخذ دماءَك ملء هذا الكونِ
وابصُقْ كلَّ يومٍ في الغيومِ
وفي السماءِ
وفي البلادِ
وفي الوجوهِ
ولا تدعْ وجهًا نقيًّا
طهّروجوهَ الناسِ من كلّ الدناءةِ
لم يعُدْ أحدٌ بريًّا

عمل للفنّان أسامة دياب

نعتاد ضبط العواطف.. «إلى ذكرى ناجي الجرف»

راتب شعبو

عمل للفنّان أسامة دياب

من حسن حظِّي، أو ربما من سوئه، أن قادتني الدروبُ إلى التعرُّف إلى الشهيد «ناجي الجرف» من خلال العمل لتحضير عددٍ خاصٍّ من مجلة «حنطة» عن «علي الشهابي»، المعتقل المجهول المصير لدى مخابرات النظام السوريّ منذ ما يزيد على ثلاث سنواتٍ. ليس تحت تأثير فاجعةِ افتقاده، وليس من باب التأبين الذي لا يجوزُ فيه أن يقال سوى محاسنِ الفقيد، سأقول إن ناجي كان «يرنُّ كيفما نقرته»، كما يقول التعبيرُ السوريُّ. هو نيرانيٌّ في الاستجابة، و«طويل البال» في تلقّي الملاحظات، جاهزٌ لفتح عشرة خطوطٍ في آنٍ واحد، يتكلّم مع المدقق اللُّغويِّ ومع المخرج ومع الفنانين ومع الكتّاب ويطمئن كلَّ ذي قلق، وهو في كلِّ هذا يحافظُ على غيمة اللّطف التي يحيط بها الجميع.

في إحدى جلساتِ «التشات» على «الفيسبوك» كنّا نتداولُ أمرَ الغلاف، نتنقَّل بين عدّة خياراتٍ ونتصادم ونستفتي فيما بيننا. كنّا أربعةً نقدِّم الملاحظات والاقتراحات والاحتجاجات والاعتراضات والنزق، وكان ناجي يتلقى كلَّ هذا الفيض ويعدِّل ويستقبل كلَّ قول، إلى حدِّ أنني شخصيّاً شعرت بالخجل من تقديم المزيد من الملاحظات. فيما كان هو بعد كلِّ هذا مستعدّاً للقول: «شو كمان؟».

في إحدى المرّات كان سيلُ الاستفسارات والملاحظات ينهالُ عليه، كان يستجيب أبطأ من قبل، وكان يبدو مثقلاً بشيءٍ ما. لم يسأله أحدٌ ما بك؟ ولكنَّه قرأ السؤال لدى الجميع، ولكي يريح الأسئلة المكتومة، ويبرئ طبيعته من هذا العارض الطارئ، كتب: (آسف بس تمَّت تصفية شب من فريقنا بإدلب من شوي عم حاول اضبط عواطفي لخلّص النشر)، وأكملَ. هكذا اعتدنا، ويا لمرارة هذه العادة، أن نضبط عواطفنا ونتابع. عواطفنا التي تنهال عليها المصائب من كلِّ صوبٍ. نعدُّ عدداً خاصّاً من مجلة ناجي «حنطة» عن صديق مخطوفٍ منذ ثلاث سنواتٍ ولا ندري أهو حيٌّ يعاني التعذيبَ والجوع والبرد والمرض، أم مات ليرتاح ويبلونا بفقدانه، فيفقد ناجي أحد أعز أصدقائه وأحد أفراد فريقه في معمعة العمل على إصدار ذلك العدد، وبعد صدور النسخةِ الورقيَّة من ذلك العدد بيومٍ واحدٍ أو يومين، يطعننا خبرُ اغتيال ناجي. ثم علينا أن «نضبط عواطفنا» حتى ننتهي من النشر، وفي سريرتنا يتلجلجُ سؤالٌ لا نريد أن نواجهه أو ننظر في عينيه: أين سوف تستقرُّ الطعنةُ التالية؟

دائماً تجد كواتمُ الصوت طريقها إلى الرؤوس الشبيهة برأس ناجي. علاقةٌ خاصّةٌ تلك التي تربط كواتم الصوت بهذا النمط من الرؤوس التي تجمع التصميم والذكاء واللطف إلى احترام الآخرين وتقدير شخوصهم وأفكارهم.

ألأن هذا النمط من الناس يشكِّلون خطراً على أصحاب كواتم الصوت؟ لا أظنُّ، أقصد ليس هذا هو السبب المقنع لاغتيال أمثال ناجي، بل لأنَّ هذا النمط من الناس له مفعولُ المرايا السحريّة التي تحكي عنها قصصُ الأطفال؛ من يقف أمامها لا يرى صورته بل يرى حقيقته، وأصحاب الكواتم لا يريدون أن يروا حقيقتهم لشدّة ما تحمل من قبحٍ وبشاعةٍ، فيلجؤون إلى تحطيم المرايا.

خرج ناجي من سورية لأنه لا يريد أن يموت أو يعتقل كما قال في مقابلةٍ له. خرج لأنه يعتقد أنّه يستطيع أن يفعل ما يفيد السوريّين وهو حرٌّ. خرج بأمل أن يتمكّن بقلبه الحسّاس وهمته ونشاطه ومثابرته من المساهمة في حماية السوريّين من الموت والاعتقال على أيدي المستبدِّ القديم وأشباهه الجدد. لم يخذله قلبه ولا رئته الوحيدة التي كانت كافيةً، رغم التدخين الكثيف، لتغذية نشاطه الدائم، ولم يخذله أصدقاؤه. ولكنه الشر الغلاب في هذا العالم المستسلم لهوس القوة المادية.

الشهيد «ناجي الجرف»... إلى روحك ألفُ سلامٍ.

فقدانٌ مريرٌ وباقةُ وردٍ

زياد ماجد

لا تُفهم اللوعةُ التي أصابت كُثراً من السوريّين لحظةَ انتشار خبر اغتيال «ناجي الجرف»، دون ربطها بشخص المغدور ونشاطِه وحيويّته الفائضة، وما مثّله داخلَ الفضاء الثوريّ السوريّ من ناحيةٍ، واللحظة التراجيديّة سوريّاً التي اختطف القتلةُ فيها الرجلَ من ناحيةٍ ثانية.

فناجي الجرف، ابن مدينة سلمية، انتمى إلى الحقبة الثَوريّة السوريّة الأولى في عامي (٢٠١١ و٢٠١٢)، وشارك في المظاهرات، ووثّق بعضها وغطّاها إعلاميّاً إلى حين اضطراره للخروج من سوريا كما الألوف من أمثاله. لكنّه بقي قريباً من حدودها، واستمرّت علاقته الوثيقة برفاقه داخلها، ونشط في مكانِ عيشه الجديد ضمن هيئاتِ «المجتمع المدنيّ» السوريِّ الناشئة، وترأّس تحرير مجلة «حنطة» التي صارت واحدةً من أبرز دوريّات الصحافةِ السوريَّة البديلة.

و«ناجي الجرف» عمل أيضاً على إنتاج تحقيقاتٍ صحفيَّةٍ لوسائل الإعلام المحترفة. ولعلَّ الوثائقيَّ حول سيطرة «داعش» على حلب خلال الأشهر الأخيرة من عام (٢٠١٣)، (قبل أن يطردها الجيشُ الحرُّ وبعض الفصائل الإسلاميّة السوريّة)، الذي أظهر الممارسات الإجراميَّة للتنظيم بحقِّ الثوّار والمعارضين الأوائل لنظام الأسد، كان من أبرز هذه التحقيقات وأكثرها فضحاً لأدوارِ «داعش» وأولويّاته.

و«ناجي» كان فوق ذلك ديمقراطيّاً وعلمانيّاً، واضحاً في خياراته السياسيّة وانحيازاته الإنسانيّة، من دون قطيعةٍ مع من لا يتماهون معه بالضرورة. ولا ريب في أن عداءَه لنظام الأسد ولتنظيم «داعش»، وقناعته التي عبَّر عنها تكراراً بأن بربريّة الأوّل هي أبرز أسباب صعودِ همجيّة الثاني، جعلته هدفاً مثاليّاً للطرفين. إذ كلٌّ منهما يتمنّى تنسيب خصومه للآخر، وهذا ما لم يكن ممكناً مع «ناجي» ومع من يمثّلهم، ولذلك كانوا وما زالوا الأكثر استهدافاً في الثورة السوريَّة اليتيمة.

ولعلَّ اللحظة السياسيَّة التي قُتل فيها «ناجي الجرف»، جعلت الفقدان أشدَّ قسوةً وأكثر وطأة. فرحيله أو رحيلُ من يشبهونه في وقتٍ تتعرّض فيه قضيّتهم السوريَّة لمحاولات تصفيةٍ عبر الغزو العسكريّ الروسيّ والصمت الدوليّ، يزيد من وقع الخسارات الفرديَّة ويفاقم الشعور لدى قسمٍ كبيرٍ من الناشطين السياسيّين والفاعلين المدنيّين باليُتم والحسرة والقهر من تكاثر المظالم وتعاظم الأعباء فوق أكتافهم.

****

غدرَ القتلةُ بـ «ناجي» منذ شهرين، قبل انتقاله إلى محطّةٍ جديدةٍ في عمله وحياته وحياة أسرته الصغيرة. وغدروا من خلاله بأمل سوريّ كان لولا كاتم الصوت والوضاعة أكثر ضياءً. لروحه السلام، ولذكراه الورودُ والوفاء، ولبشرى رفيقته ولطفلتَيه الغاليتَين وأصدقائه في الكفاح السوري المرير، الصبرُ وطول العمر...

عمل للفنّان جوان زيرو

واجب المشاغبة، دوماً وأبداً...

سمير العيطة

قبل الربيع العربيّ، وفي كانون الأوّل عام (٢٠٠٩)، كتبتُ افتتاحيّةً «للوموند ديبلوماتيك» النشرة العربيّة تحت عنوان «واجب المشاغبة وعدم الاحترام». بُنيَت تلك الافتتاحيّة على مشاركةٍ في مؤتمر «فاس» لحوار الحضارات وعلى عودةٍ لروحيّة مؤسِّس الصحيفة الفرنسيّة الشهيرة، كلود جوليان، تيمّناً بعنوان كتابه «واجب عدم الاحترام» وتبنّياً شخصياً لهذه الروحيّة.

أراد «جوليان» أن تكون صحيفته الشهريّة «ملتزمةً، واقفةً شامخة الرأس دون مساومةٍ ونزيهة». لكنّه رأى معضلةً في التوفيق بين الفعاليّة والتأمّل، الضروريّين لهذه الاستقلاليّة. فالبحثُ عن الفعاليّة يأخذ إلى أجواء السلطة: «سلطة الدولة وسلطة الأحزاب وسلطة المال وسلطة من يوجّه ويقرّر». «والسلطة تسحُر المثقّفين كما يجذب العسل الذباب»، وهي تعرِف كيف تتلاعب بالمثقّفين والصحفيّين وتستخدمهم. أمّا التأمّل فهو «الواجب النقديُّ» لكلِّ من «أراد أن يشاهد، ويحلّل، ويفهم، ويفسّر»، انطلاقاً من الواقع، على الرغم من «الحقائق» والتحليلات السائدة. أي بالضبط عبر الفضول وحبِّ المشاغبة وعدم الاحترام.

صلب واجب المشاغبة هذا يكمُن في صحافة الاستقصاء. «مهنة البحث عن المتاعب هذه» التي تتطلّب حساباً «للأخطار»، إذ إنّها تهدفُ إلى «كشف المستور وتوثيق المشكلة». وما هو مستورٌ يمكن أن يكون قد «اختفى خلف ركامٍ من الحقائق والظروف التي أصبح من الصعب فهمها» أو وراء محرّماتٍ، كما كُتب في دليلٍ لتدريب «إعلاميّين من أجل صحافةٍ استقصائيّةٍ عربيّة» (أريج). فما الذي يستحقُّ أن يموت الصحفيّ من أجله؟ سوى ذلك الهدف الذاتيّ غير الموضوعيّ الذي يتمثّل برغبةٍ في تغيير العالم وإصلاحه. «فمن المسؤوليّة أن نعرف الحقيقة كي يمكننا تغيير العالم».

في تلك الأيّام، كانت المخاطرة الكبرى للصحافة تكمُن في مساءلة السلطة في البلدان العربيّة وفضح ممارساتها. ذلك الجسم الذي نصّب نفسه، في الملكيّات كما في الجمهوريّات التي أضحت توريثيّة، فوق الدولة، وفوق الدساتير والقوانين، يغيّرها ويفسّرها حسب أهوائه. بل كان الحساب العسير يأتي لكلِّ من تجرّأ على التهكّم والسخرية من هذه السلطة، أقلّه المنفى. رغم ذلك، بقيت بعض النوافذ «للمشاغبة»، في لبنان أو حتّى في مصر، ولاسيّما من خلال التنافس بين أرباب السلطة في البلدان العربيّة المختلفة. هكذا حتّى تأتي المصالحة بين هؤلاء الأرباب ومنفى جديد «للمشاغب».

وكانت «المشاغبة» الأكبر تكمن لدى الجمهور العربيّ الذي عوّده غياب الحريّة على التشكيك في كلِّ شيءٍ، وعلى البحث عن الحقيقة مقارناً مصادرمتعدّدة المرجعيّات.

ثمّ جاء «الربيعُ العربيّ» وأضحت «المشاغبة» في الشارع والساحات. لم تعُد حكراً على صحفيّين قليلي العدد، تجرّؤوا على رفع الرأس دون مساومة، بل أصبحت هذه «المشاغبة» بمعناها السلميّ والنبيل «انتفاضةً» واسعة الانتشار لتحقيق تغيير العالم وإصلاحه. على الأقلّ عالمنا العربيّ. فانخرط كثيرون في التوثيق والاستقصاء لفضح الممارسات الأمنيّة والسياسيّة وإبراز التطلّع الواسع إلى التغيير. وغالباً ما كانت السخرية والنكتة سلاحهم الأوثق لتثبيت صورة الواقع السائر إلى تخطّي ذاته. وكانت حقّاً تجربةً مثيرةً ومحفّزة. إذ حدث التغيير في تونس ومصر.

إلاّ أنّ التغيير أخذ مساراتٍ متعدّدةً، ودخل هو ذاته في خضمِّ «فوضى من الحقائق والظروف»؛ فوضى البحث عن توازن قوىً سياسيّةٍ واجتماعيّةٍ لتونس ومصرَ ما بعد التغيير، وفوضى القمع ومقاومته في اليمن والبحرين وسوريا، ومن ثمَّ فوضى بروز الطائفيّة والتطرّف والإرهاب انتهاءً بالحرب والشرذمة.

تضاعفت أعداد الصحفيّين بشكلٍ كبيرلتغطية كلِّ هذه التقلّبات الكبرى وانتشار مجرياتها في مختلف أنحاء البلدان. يوثّقون الأحداث والقمع والحرب، وآثار التعذيب والقصف، وخلافات السياسيّين وأروقة المؤتمرات والاجتماعات... بإثارةٍ هي إثارة الحدث وقسوته البشريّة والفكريّة.

وتطوّرت وسائل الإعلام بشكلٍ كبيرٍ مع هذه التقلّبات، ليس فقط لأنّ محطّات التلفزة ووسائل التواصل الاجتماعيّ الرقميّة شغلت الناس صباح مساء، بل لأنّ السباق نحو المهنيّة في العرض والمشهديّة لم يعد حكراً على المؤسّسات المتخصّصة، بل أضحى سبيل داعش لكسب وتجييش المناصرين وزرع الرهبة في قلوب الخصوم والعالم أجمع.

لكن ماذا عن «واجب المشاغبة» في زمن الفوضى والحروب الذي ابتعد في واقعه ومشهديّته عن الإنسانيّة؟ وأين يكمن الالتزام والاستقلال عن السلطة والواجب النقديّ في كشف المستور؟ بالطبع يكمُن الالتزام في تبنّي قضايا

المواطنين والبشر وحقوقهم، وتوثيق ما يتعرّضون له. لكنّ الاستقلاليّة صعبةٌ في زمن الحرب والفوضى، لأنّ الهوامش غالباً ما تكون ضعيفةً، حتّى أضعف أحياناً من زمن الاستبداد، ولأنّ المشهديّة تُستخدم في التحريض، ولأنّ الناسَ منقسمون على أنفسهم، وفَقَدَ أغلبيّتهم حسّه المشكّك، وبات الصحفيُّ الذي لا يتبنّى قضيّة طرفٍ لا يستطيع حتّى التواجد ضمن هذا الطرف، ولأنّ المعلومة التي تخرج بشقّ الأنفس خارج الحصار يتمُّ استخدامها لأغراضٍ تخصُّ من ينشرها وليس من يحصل عليها، ولأنّ الواجب النقديَّ في فضح المستور وتوثيق المشكلة مخاطرةٌ قد تكون مجانيّةً، لأنّ بين الصحفيّ المستقصي والجمهور الأوسع عالماً كبيراً من التلاعب والمصالح والصراعات قد يضيع معناها... بل قد يغيّبها وحسب. في حين أنّ الالتزام بما تبحث عنه وسائلُ الإعلام الكبرى الواسعة النفوذ، من مشهدٍ أو من معنى مثيرٍ، يحتوي فعاليّةً أكبر.

والتساؤل حول ما يستحقُّ أن يموت الصحفيُّ من أجله يأخذ معانيَ مختلِفةً في زمن الحرب والثورات عنه في زمن السلم. مثله مثل معاني تغيير العالم إلى الأفضل. فهل تغيير العالم انتصار طرفٍ على طرف أم أنّه وقف الحرب والمعاناة؟ وهل انتصار «الثورة» هو انتصار «الثوّار» إذا جنحوا للتطرّف؟

دفع صحفيّون كثر حياتهم فقط من أجل تزويدنا بالمعلومة عمّا يجري في عالمٍ خرج من عقاله. تحيّة إجلال لهم جميعاً. لكنّ التحيّة الأكثر إجلالاً هي لأولئك الذين شاغبوا حتّى في زمن الحرب والشرذمة وخاطروا بحياتهم كي يبقوا لنا كبشرٍ قدرة التشكيك والمساءلة حتّى لآلامنا إلى أن ينبثق فجر عالمٍ أكثر إنسانيّةً.

عمل للفنّان رائد قطناني

«ناجي الجرف» وإستراتيجيّات التواصل غير القابل للنسيان!

شكري الريان

لا يمكنني الحديثُ عن «ناجي» إلا بصفةٍ شخصيّةٍ، هذا أمرٌ يخصّني، وأظنُّ أن هذه حال جميع من عرفوا ناجي بطريقةٍ أو بأخرى. ولا أظنُّ أنَّ «ناجي» قد مرَّ في حياة أحدهم، ولو بشكلٍ عابرٍ، دون أن يترك أثراً لا يُنسى، لم يلبث بدوره، الأثر، أن تحوّلَ إلى أمرٍ خاصٍّ، حميميٍّ ولا غنى عنه. حتى المرضُ نفسه مرَّ بمثل هذه التجربة مع ناجي، حوّله إلى أمرٍ يمكن التعامل معه بين حين وآخر، ولو حتى كاستراحة محاربٍ.

بالنسبة لـ«ناجي»، الذي يخصّني، يمكنني البدء من... الحقُّ أنّي لا أعرف من أين، لا توجد نقطةٌ محدّدةٌ يمكنني البدء بها! فهذا الحضورُ السريع والاقتحاميُّ، من دون أن يترك لك أيَّ مجالٍ لأخذ مسافة الأمان المعتادة، ما كان له أن يعمل بإستراتيجيّةٍ متدرّجةٍ، إنّه يدخل كالطوفان من جميع المنافذ المتاحة حاملاً شيئاً واحداً لا يمكن لأحدٍ أن يقاومه أو يرفضه أو حتى يشكك فيه: هو الحب ولا شيءَ آخر سواه. وأن تعثرَ على من هو قادرٌ على كلِّ هذا الحب، كطوفانٍ، وفي زمنٍ أسديٍّ أعجفَ بكامل تفاصيله، فتلك هي معجزةٌ بحدِّ ذاتها.

وكما الأمر لا يقف عند منفذٍ محدّد، أو متوقّع، للتواصل، كذلك فإنّ التواصل نفسه لا يلبث أن يتطوّرَ حتى لا تعود له حدودٌ. فالعلاقةُ التي يمكن أن تبدأ عمليّةً ضمن حدودٍ معيّنةٍ، حتى لو كان فيها الكثير من الودِّ، لا تلبث أن تتحوّلَ إلى علاقةٍ شخصيّةٍ يطلها طرفاها بشكلٍ دائمٍ، بحيث لا يعود هناك غنىً عنها لروحٍ لا يقيّدها عملٌ أو أيّة ذريعةٍ أخرى. التواصل ليس لمجرد التواصل، هو بات بدوره منصّةً لأفقٍ أوسعَ بكثير، بعيداً عن الضيق والاختناق والخوف والقلق واللا معنى الذي عشناه وفُرض علينا في كلِّ لحظةٍ من لحظات عمرٍ كاملٍ أريد له أن يتحوّل إلى سجن، وأريد لقاطني هذا السجن أن يقبلوا، لدرجةِ ألّا يعودوا فيها قادرين على مجرّد التفكير بشيءٍ آخر، إنّهم مجرّد عبيدٍ.

علاقتي بناجي تعودُ إلى سنواتٍ عديدةٍ قبل الثورة، تداخل فيها الشخصيُّ والمهنيُّ والعامُّ بطريقةٍ لا يمكن فهمها لمن لم يعرف ناجي ويعرفنا ويعرف سوريانا التي ابتلينا بها.

والحقُّ أن البداية كانت شخصيّةً ومهنيّةً وعامّة، هكذا على طول الخطِّ ودفعةً واحدة. كان الإعلام، كمهنةٍ، حاضراً، وكانت هناك «بشرى»، واسطة العقد دائماً، حاضرةً أيضاً كابنةٍ وزوجةٍ وشريكةٍ في العمل. وكان هناك الكثير الكثير من المشاريع المؤجّلة، وتلك التي شاءت الظروف أن يبصرَ جزءٌ يسيرٌ منها بعض النور ويحقّق بداياتٍ لنجاحٍ ما كان مقدّراً لنا أن نجنيَ ثماره، وهناك من يتربّصُ بالجميع عند آخر الطريق فارضاً عليهم جزية العبوديّة المعتادة وإلا!.... وكان فوق هذا ومعه ذلك اليقين بأننا لو أعطينا فرصتنا كاملةً فنحن، دون أدنى ريب، قادرون.

يمكنني القول: إنَّ «ناجي» كان أكثرنا ثقةً بتلك القدرة، والتي كان من شبه المستحيل لها، وفي ضيق زنازيننا، أن تتنفّسَ ما تحتاجه من هواء. ولكن بالنسبة لـ «ناجي»، وما كان يحمله معه بشكلٍ دائمٍ من فائض الحبِّ هذا، لم يكن الأمرُ قابلاً لأن يخضع لأيِّ تساؤلٍ أو تشكيك. «سنصل يوماً إلى ما نريد».

وما كنّا نريده، ما كان له أن يبصرَ بدوره بدايات نوره لولا تلك الثورة التي أيقنَ جميع العاشقين، ومنهم ناجي، أن لا بديل منها وإلا متنا ومات أيُّ احتمالٍ لعشقٍ وحياةٍ لنا. لذلك لم يكن غريباً أن يكون «ناجي» واحداً من أوائل من قاموا بعملٍ إعلاميٍّ ما في أرض ثورةٍ بكرٍ كانت بحاجةٍ إلى أيِّ مجهودٍ أو دعمٍ ومن أيِّ طرف، وممّن أشعلوها قبل أيِّ طرفٍ آخر.

وعلى عادة «ناجي»، ما كان للأمر أن ينتظرَ أيَّ تفصيلٍ، مهما كان حجمه، حتى يبادر. تأتي المبادرة أولاً وبعدها تلي «التفاصيل» كائنةً ما كانت. وكان للحكاية أن تكبرَ وأن تصلَ إلى ما وصلت إليه. كلُّ هذا و«ناجي» يعمل بطريقته المعتادة نفسها؛ لا تدع ثغرةً يمكن النفاذ منها إلا واستخدمها، ليس باتجاه أعدائك، بل باتجاه من تحب. وهو الهدفُ الذي لا يجبُ أن تنساه أبداً، وهو ما لا يمكن إلا أن يبقى لنا بعد أن خسرنا البلد...

عمل للفنّان عبد اللطيف الجيمو

عندما أقلّب صوره، الكثيرة، في وسائل التواصل الاجتماعيّ، وسواها، لا أجد إلا هذا الأثرَ الذي تركه على الجميع، والذي لم يلبث أن تبدّى حزناً وأسىً غامرين ما إن باغتنا جميعاً برحيله.

لم أُفاجأ، فمن عرف «ناجي» عرفه بشكلٍ شخصيٍّ أوّلاً وقبل أيِّ شيءٍ آخر، وبرحيله فقدَ جزءاً عزيزاً من ذاته.

عدا عن هذا، وفي «التفاصيل»، فإن «ناجي» بقي «هو هو» حتى في عمله. كان العمل وسيلةً لمدِّ التواصل هذا، وبالطريقة نفسها، إلى أوسع مدىً ممكنٍ، وإلى آخر سوريٍّ يمكن أن تطاله... روحه...

يقولون: إنَّ أفضل وسيلةٍ لتقدّر معدن من تتعامل معه، هي واحدةٌ من ثلاث محنٍ: إما غربةٌ، أو خدمة في الجيش، طالما كانت وجهاً آخر للمحنة الثالثة، «السجن».

وأظنُّ أنني خبرت «ناجي» في اثنتين: الغربة والسجن. وفي كليهما كان يحلم بالتحليق وهو في قعر البئر، وفوق هذا يريدك أن تشاركه! ولا أظنّه إلا فعلها، حلّقَ وأصابنا جميعاً بالعدوى.

بعيداً عن مراثٍ شاحبة

علاء الدين الزيات

بلا هالةِ القدّيسينْ، وبدونِ عباراتِ التفخيمْ، ما يجري الحديثُ عنهُ واحدٌ من بشرٍ عاشوا وغادَرونا، ككثيرينَ مثله، ومازالَ كثيرون يشبهونهُ يعيشونَ معنا.

في الحيرةِ وقد كانْ حائراً كما حيرتنا بين حنينٍ لتواريخَ وأمكنةٍ، ونداءاتِ أمكنةٍ أخرى لم تطأها الأقدامُ سابقاً، ولكنّ الشبابيكَ المسوَّرةِ بالشوك لم تبق نوافذَ للعبور، حيَّرتنا الطرق المغلقةُ طويلاً، بعضنا كانت أمانيه ضوءَ أمله، وبعضنا كانت ضوء حيرته، يصعب دون شكٍّ شطب نصفِ عمرٍ هكذا، إذابة ذكرياتٍ في لحظةِ طلاقٍ للماضي كان مرتبكاً ككلّنا وحزيناً مثل صنوبرةٍ غادرتْ غابتها قسراً.

في الهجرةِ وقد كانْ ضائعاً في التفاصيل، كسقيفةٍ نلقي إليها محفوظاتنا، بعض من جنوب، وبعض من وسط، وبعض من غرب، ومَهاجِرَ بدت كقافلةِ الغجرِ تفتح أبوابها كي لا تغلقها أبداً، تلقي الذاكرة بمراسيها في سهراتٍ تخلط فواصلَ الأزمنة، فتثيرُ الابتسام والدموع كأطفالِ الميتمِ في عيدٍ موشّىً بعطايا الغرباء فقط، كان يمكنه سرقةُ الفرح، تحويل الغصّاتِ إلى مجرّد زفرةٍ شاردةٍ، ثم الانتقال لما يلي، كمستعجلٍ للأزمنة.

في القولِ وقد كانْ مهرولاً في الكلام، تعوزه الفاصلةُ دوماً، لذلك تقفزالكلماتُ كأرانبَ بيض، فتتزاحم وتلتصق، كنّا نعي الجمل عبر النظر إلى عينيه، كانت تفسّر أغلبَ المقال. تلك الهرولةُ كانت تشي برؤيته الكامنة، حول الزمنِ وبطلانِ هدره، يتعبنا الاستماع مع محاولاتِ تقطيع جُملِهِ، هو لا يأبه لنا، فلديه وقتٌ غير كافٍ دوماً ليرمينا بهواجسهِ، كان يتعبنا مرّتينْ حين نتلقّى جملهُ الملتصقة، وحين نعاود تقليبها بعد مُدّة.

ولَهُ وقد كانْ غيرَ منصفٍ مع ذاته، نموذجاً للتأجيل حين يتعلّق الأمر به، لا أعرف إن كان قد اكتشف ذلك الخيطَ السحريَّ بين نحنُ وأنا، كان يحاول بلا شكٍّ، ربما اقترب عدّة خطواتٍ من ذلك، قلقه يعني أنّ المسافة لم تكن بعيدةً، القلقون وحدهمْ من يخيفهم الإنجاز، هم توّاقون لخيطِ السباقِ الأخير، ومقتنعون أنَّه بداية الذي يلي، ولكنَّ الحلمَ حين يركض أمامنا يُبقينا على التنفسِ الهادرِ، أسراهُ وتابعيه وحُماتهُ.

وفي التعلّم وقد كانْ كأبناءِ جيله، لا تكفيه الكلماتُ غراسَ ثِقة. هناك دروسُ الاختباراتِ الطويلةِ، والتفتيشُ خلف حسن النوايا عن فعلٍ، الأخطاءُ ليست كارثةً توْجبُ اللومْ ، القُعادُ باستكانةٍ بلهاءَ هو ما ينصبُّ عليهِ اللومْ، وليس من تعلُّمٍ ممكنٍ دون تذوُّق الخطأ مرّاتٍ ومراتْ، حتى نتقنَ طعْمهُ ونعيدَ تركيب مكوّناته لينقلبَ ضدَّهُ، هكذا قال لي من أربكتْهم الأخطاءُ، ولكن مكاشفتهم لَهُ غيَّرت حيرتهم لحظةَ أعادوا اكتشافها كتجربةٍ.

ثمّ كانْ صبيّاً مغامراً لا تعوزهُ الجرأة ولا التهوّر، قدريٌّ في مزاجِ الإيمانْ، اعتاد التعثُّر والقيام كمتسلّقِ جبالٍ بأدواتٍ بسيطة، تخذِله الحبالُ حيناً، والرفقةُ أخرى. مع ذلك لم تشأْ أقدامه هجْرَ خطواتها، وحدهمْ عشاق الأسرّةِ الدافئةِ يقضون العمرَ بأمانٍ وترهّلٍ بائسْ، كان يرثيهم كلَّ مرّةٍ ويتمنّى لهم حظّاً مختلفاً، لكنه ظلَّ على رؤيته: «مغادرةُ الحفرة إلى هواءٍ نقيٍّ ليستْ ممكنةً بلا ارتفاعٍ».

وآخراً كانْ كاذباً، في ليلتهِ الأخيرةِ قال لي: لن تطولَ الغيبةُ سأعودُ في الربيعِ المقبلِ!! في عصرِ اليومِ التالي أيقنتُ أنّها كِذبتهُ الأولى والأخيرة.

عمل للفنّان عماد رشدان

ويكونُ ناجٍ وحدَهُ

مازن اسماعيل

عمل للفنّان خالد بركة

غداً أو بعدَ غدْ
يأتيني ولدْ
وزوجتي الحاملُ منذُ خمسِ سنينٍ
تعبتْ معي
وهي تحفظُ الأسماءَ لهُ
تعبتْ معي
وهي تقرأُ الأشعارَ لهُ
وهي ترسمُ ملامِحَهُ
دون أن يدري أحدْ

غداً أو بعدَ غدْ
سيأتي «ملهمٌ»
أو «يوسفٌ»
أو «كريمٌ»
أو «حسامْ»
سيأتيني من بين كلِّ هذا الغمامْ
مثلَ المطرْ
وينسيني طعمَ أمي التي قدّمتْ كلَّ
العذابِ لي ولها
حينَ فرّقنا الأسدْ

غداً أو بعدَ غدْ
سيأتي من رحلْ
ويُزهرُ في عيوني مثلَ ثورة
ويمشي في المُقلْ
يتفقدُ الأشياءَ في كلِّ المرايا
ويدقّقُ الأشعارَ في بهوِ الدفاترِ
ويسألُ عن كرامتنا
وحنطتنا وبسمتنا
وأطفالِ حارتنا
ويقرأ كلَّ حرفٍ قيلَ فيه
حين غادرنا شهيدْ

غداً أو بعد غدْ
يُولدُ من جديدْ
ويفتحُ الأبوابَ لنا
كي لا نموتْ
ونتنصرفي لحظةِ الدمعِ المُكبّلِ بالحديدْ
تلك الصبايا الشاهقاتُ بحبّهِ
يغازلنَ الحكايا كلَّ يومٍ

واليوم إحداهنّ قالتْ:
متى تأتي الولادة
صارَ الفراقُ طويلاً من يومِ الشهادة
صار الفراق طويلْ

غداً أو بعد غدْ
سيأتي في الأصيلْ
حاملاً من بقايا الرحمِ «شادوفَهُ»
وبيتاً للعتابا

غداً أو بعد غدْ
سيأتيني ولدْ
لهُ من جميلِ الشعر كلّ رثاء
يا طفليَ القادمَ بسرِّ فؤادي
لا تلمني
حين يرثي العاشقُ معشوقهُ
يكون الله حاضرا
فلا تلمني ...

غداً أو بعد غدْ
سأقولُ اسمك للوطنْ
و أقول إنّك الناجي الشهيدْ
سأقول اسمكَ في العلنْ
كي يدركوا
أنّ الكواتمَ في حضرة الصوتِ
تعجزُ عن قتلنا
ونعودُ حين نقرّرُ أن نعودَ

غداً أو بعدَ غدْ
سيكونُ الدمُ بالدم
ويكونُ الثأر حاضراً معنا
حين الولادة

أخبروا الكادر كلَّه:
غداً أو بعدَ غدْ
عند الرصاصةِ الثانية إلا ربعْ
سيكون الموعدُ معهُ
سيكون ناجٍ وحدهُ
ويكونُ ناجٍ وحدهُ
ويكونُ ناجٍ وحدهُ.

في الحقولِ الرهيفةِ للانعتاقِ

محمد ملاك

في الحقولِ الرهيفةِ للانعتاقِ، نريدُ ألّا ينغّصَ ذاك الصفاءَ علينا أحدٌ، في المدى العميقِ اللصيقِ بحلمٍ حلمناهُ، وقفنا على باب تحقّقهِ برهةً، هنالك، لا نريدُ أن ينغّصَ علينا ذاك الصفاء أحدٌ. حينما تعيق الرصاصةُ في الفمِ ابتساماتنا، ونجهدُ أن تظلَّ دعوةً نرحّبُ عبرها بالأصدقاء الجميلينَ، يرونَ بأنّا لم يصبنا الندم على ما فعلنا، على ما تعبنا، على ما جنينا، على ما حلمنا على ما انتكسنا، على ما أردنا ولم يتحقّق، كثيراً، قليلاً، وأنّا نسامح من خذلونا، ومن آلمونا، ومن أرهقوا أيامنا بالترّهاتِ، وأنّا نقدّر الذينَ أرادوا بالحبِّ أن يمتلكونا، أن يحتوونا، وأن يأكلونا لنصبحَ في نبضهم نغماً، وأنّا طلبنا مراراً أن نكونَ عصافيرَ، أن نكونَ نسيماً عليلاً، أن نكون ورقةً تمرجحها الريح فوق الغصون، فتقبل بكلِّ القناعةِ كلِّ الرضا، قدر الاصفرارِ بطيئاً بطيئاً، كما العمرُ يعبرُ كما العمرُ يقطع فينا بحار الزمان، فينشب في المدى شراعاً، تجعلُ جدوى لتلكَ الرياحِ العتيدةِ، تلك الرياح العنيدة، تصنعُ من قلقها، من تردّدها هدفاً (على قلقٍ كأنَّ الريح تحتي).

جمعنا قليلاً من الأصدقاء، كثيراً من المتبرّمينَ، كثيراً من الواقفين، لا يعرفونَ أيحبوننا أم يكرهوننا، يحسدوننا أم ينظرون بإعجابٍ، فكما الجنونُ والعبقرية، يقف الحسدُ والإعجابُ حول شعرتهما.

ليتَ الرصاصةَ أتت لكنّها حذّرتني، لا لأهرب لكن لأنجز شيئاً، تفاصيل، أداعبكم آخرَ دعابةٍ، أرمي آخرتعليقٍ ذكيّ، أمنح الوقت بداهةً جديدةً في جوابٍ يفحم الأسئلة، أقترح اسماً لفيلمٍ، اسماً لحزبٍ وإن كان ساخراً، اصطلاحاً، جميلي الشهيد، غادروا الكادر، يا قلب يكفي نزيزاً، جمعنا كثيراً من الكارهين، رسمنا خيوطاً بين مبادئنا والكذب، وسمنا أعداءنا بما اختاروا أن يكونوا، وصفناهم، وتركنا مكاناً صغيراً نوسعه للصفح كركنٍ يستضيف الحياة.

ليت الرصاصةَ حذّرتني لا لأهرب، لكن لأودّعَ «يمّاً» و»إيمي»، أودّع «بشرى»، أودّع كلَّ المحبّين، كان هناك حديثٌ مؤجّلٌ، وددنا لو نقوله سريعاً. كانَ السفر يحجز الكثيرَ من الوداعاتِ، قبلاتٍ على وجناتٍ نشتاقها. فإن لم أسافر وإن غيّرت وجهةَ تذكرتي، كان عليَّ أن آخذ تلك الطعومَ على شفتيَّ أفكر بها في الأبديةِ، حين تنام الأحاديثُ، ويبقى التأمّل.

أقول لنفسي: إنّي حلمتُ وإنّي فرحتُ، وإنّي انتشيتُ من الحلمِ، إنّي فعلتُ ما أردتُ، وإنّي كما اشتهيت متُّ، وإنّي لم أغادر، وإنّي زرعت من الحبِّ والأقحوانِ الكثيرَ، وإنّي تركتُ بذوري تسيرُ على نهر الزمانِ الهوينى.

أعرف أنّ تلك أغانيك فيما أكتب اليوم صوتك من أحاديث قلنا وقلنا فيها الكثير، أردنا حلمنا ذهبنا، وتعلم يا صديقي أنّ الرصاصَ كان قريباً مراراً كثيرة، كانَ قريباً وكان الدويُّ رهيباً، وكنت تقولُ: أخافُ صوتَ الرصاص، أخافُ من الطلقاتِ الغادرة، إنّها تفاجئُ بالصوتِ، وإنَّ الرصاصة في الرأس تخترقُ الذكرياتِ وتخترق الفكرةَ، تخترق الحيويّة تخترق!!. لكنّها، تطلقُ المكانَ، توقفُ الانتظارَ، وتترك للحلم أن يتمدّدَ أن يتفشّى كعطرٍ ويبقى.

عمل للفنّان عبد اللطيف الجيمو

الشهيد الجميل.. «ناجي الجرف»

مروان عبد الرزاق

أيُّها الناجي.. سلاماً
الكتابة عنك أيُّها الناجي من أصعب التحدّياتِ التي واجهتني في حياتي، لأنّه لم يخطر في بالي أن نفترقَ يوماً ما وأكتب إليك في غيابك، أو أن أكتب عن خصالك وشهامتك وشجاعتك التي يعرفها الجميع.
لستُ قادراً على الرثاء بالكلمات الجاهزة، ولست قادراً على البحث عن الكلمات التي تليق بك، فأنت كلُّ الكلماتِ التي تعبِّر عن الحب والأمل والحياة نحو الشروق الجميل لشمس الحريّة.
من أنت أيُّها الناجي كي تفعلَ فينا كلَّ هذا الحزن، وأن تفجّرَ المآقي، بتلقائيّة الأطفال، في كلِّ البلاد والشوارع والأزقةِ الضيّقة والجدران المغلقة، والتي امتزجت مع دمائك التي لن تتجمّدَ أبداً، وأن تكون الجرحَ النازف في القلوب؛ الجرحَ الذي لن يندملَ.
لم تكن رئيساً لدولةٍ عظمى، ولم تكن أحدَ الأغنياء الكبار في العالم، حتى تناقلت أغلبُ الصحف ووكالات الأنباء في العالم، ومنظّمات حقوق الإنسان، نبأ استشهادك بالأسى والحزن. وقالوا في رثائك أجملَ الكلمات، حتى من قبل الكثيرين الذين لم تعرفهم، أو تلتقي بهم، إنّما لدهشتهم من اتّساع حضورك وعمق المحبة من الجميع.
لم تكن نبيّاً، إنّما كنتَ فقيراً كالأنبياء، ولم تبحث عن الثروة والسلطة والجاه. وكنتَ «بسيطاً كالماء»، واضحاً كالشمس، وكأنك تختزنُ بعضَ جينات «زرقاء اليمامة» حين اكتشفتَ مبكّراً طبيعة السلطة الجديدة (الائتلاف الوطنيّ)، وعدم تمثيلها للثورة. فرفضتَ الانضمامَ إليها، والعيش في فنادقها، رغم كلِّ الدعوات التي وُجّهت إليك. كما رفضت أن تكون عبداً لأحد، وأن تتلوَّثَ يداك في أوكار المال السياسيِّ المشبوه، ودهاليز النصب والاحتيال، والتي انتشرت كالهالوك في تربة الثورة الوليدة، ولم تبلغ سنَّ الرجولة بعد.
وكان «إيمانك بالثورة أهمَّ من أيِّ رمز»، لأنّ الرموزَ لا تصنع ثورةً. وحين كان اليأسُ يهاجمنا لأنَّ النظام الفاشيَّ اغتال أغلبَ الرموز الشابّة الممثّلة للثورة، وأصبحت السيادة للانتهازيّين، والكسبة، وأمراء الحرب الذين يتاجرون بدماء الشهداء الزكيّة، كان الأمل لا يفارق ابتسامتك وأنت من كان يردّد «أغتالُ اليأسَ حيناً، لأعتني بالأمل أحياناً».
وبقيت تذكر «بريق عيونهم في المظاهرات، والتي استمرَّت تملأ رئتك بالأمل». وكان الحبُّ يغمرك لرفاق الدرب، والأملُ بالانتصار على الطغيان لا يفارقك، ولأجل ذلك لن تموت.
كم كنت تكره الأماكنَ الضيّقة، واللعبَ على الحبال المتأرجحة. أنت الواسعُ كالبحر، وروحك حمامةٌ بريّةٌ تكره الأقفاص، وتحلِّق في السموات العلا، ثم تحطُّ على أكتاف الشباب الذين كسروا جدار الخوف، وقرّروا إسقاط الطغاة.
وعرفت كيف تعلّمهم الانتماءَ للوطن، عبر الكاميرا والكلمة الحرَّة، وأن يتشبّثوا بأهداف الثورة، في مرحلة النهوض، وفي مرحلة اليأس، والتشرّد، والإفساد، والدعوة إلى السكينة. في مرحلة السلم والنضال السلميّ، وفي مرحلة الكفاح المسلّح، وحين أصبح «الجيشُ الحرُّ» يمثّلنا. وفي مرحلة «عصر الإرهاب» حيث امتلأت الساحةُ بالطغاة الجدد، وأصحاب الرايات السوداء، وكنتَ أوّل من تصدَّى لهم وفضحَ أساليبهم الدنيئة، وراياتهم الطائفيّة البغيضة. فكانت رايتك واضحةً كالشمس «أنا لست ضدَّ الدين، لكن أخرجوا أهل الدين من السياسة، فإنّهم يتوضّؤون بدماء الفقراء».
في البدء كانت الكلمة»، وكانت الكلمة هي» مصدر قوّتك. الكلمة التي رفعتها في وجه النظام الطاغية منذ الأيام الأولى لانطلاقة ثورة شعبنا المجيدة. والحرية هي الكلمة التي أرعبت كلَّ الطغاة القدامى والجدد.
وكنتَ تعرفُ أنّ الكلمة ليست لعبة أطفال. والكلمةُ الحرَّة لا يرفعها إلا الأبطال، وهي التي تزلزل العروشَ وتمزّق الرايات السوداء، وتبني الإنسانَ الحرَّ من جديد. وهي دائماً أقوى من كلِّ الرصاصِ الذي يقتل ويدمِّر الإنسان. ورصاص الغدر سلاحُ الجبناءِ الذين يعجزون عن مواجهة الأبطال.
مدينة السلمية التي أنجبتك، أورثتك تنوّعها الجميل. لم تكن «سنّيّاً، أوشيعيّاً، أوإسماعيليّاً، أو مسيحيّاً..». ولم تكن سلمونيّاً، أوحمصيّاً، أو حلبيّاً.. إنّما كنت كلَّ ذلك. كنت سوريّاً، كنت قوس قزح، كرايةٍ يحملها ويدافع عنها الجميع.
كيف يموت من زرع الأملَ في القلوب البائسة، ومن رسم الابتسامة على وجوه الآلاف من الشباب الأحرار. لقد حاربتهم بابتساماتك، وبروحك، وبحلمك، وباستشهادك الذي أيقظ .القلوب من جديد، بعد غفوةٍ غمرتها الدموع
صحيحٌ أنّك أبكرت الرحيل، لكنك لن تموتَ وستبقى رايةً لكلِّ الأحرار، والنجمة التي ستضيءُ طريقهم.
هل يمكن أن نخرج من عقدتنا الأولى؟ لماذا لا نستطيع أن نحميك؟ لماذا كنّا كالبلهاء واعتقدنا أنّ الغدرَ لا ينالُ من الأبطال؟ وكيف أغفر لبلاهتي لأنّي لم أتنبّأ بأنَّ الدموعَ التي غسلت وجوهنا في تلك الليلة السابقة، كانت مؤشّراً للرحيل. عذراً أيُّها الناجي لقد فشلنا في حمايتك. كيف ستنتصر ثورةٌ لا تستطيع حماية أبطالها؟! وكان القدرُ أسرع من غبائنا الذي أهمل مؤشّراتِ رحيلك كما أرسلها الطغاة.
أيُّها الأصدقاء، إنّه قدرنا، قدرُ ثورتنا. لا تجعلوا من رحيل الشهداء مقبرةً لثورتنا العظيمة، فالمشوارُ نحو الحرّية طويلٌ، وطويل. ولا تتاجروا أو تساوموا على دمائهم، لئلا تغتالوا أرواحهم التي تحوم فوق رؤوسنا كنوارس البحر، تظلّلنا من لهيب الحقد الأعمى للطغاة.
ولا تسألوا متى سنلتقي بالشهداء، إنّما لنبحث معاً متى وكيف ينهض الثوار من جديد.
سلاماً أيُّها «الناجي»، ولكِ الصبرُ أيّتها «البشرى»، فإنّ الصبرَ من قيم القدّيسين والأبطال.

شاهدةٌ للحنين

ياسمين مرعي

ها نحنُ نمتثلُ لفكرة الكتابة عنك، إذاً فقد رحلت حقّاً. كنتُ أحاولُ التهرُّبَ، إطالة النظر في وجهك الباسم دوماً من تلك النافذةِ الزرقاء، ثم إغلاقها وتسلية النفسِ بأنّه لا بدَّ أن يكون لك من اسمك نصيبٌ، فتنجو كما فعلت مراراً، وطمعنا نحنُ ببطل المواقفِ الحرجة. ترصَّدك الموتُ بحرص، وغفلنا ولا ندري إن كنت غفلت، أم أنك فضّلت مواجهته، واخترت وجهتك من أحد كتب الملاحم: «ذاهبٌ إلى موتي».

غيابك أيُّها الصديق يضعنا أمام مئات الأسئلة، بدءاً من أكثر الأفكار طفوليّةً وسذاجةً من مثل: أنَّ «لكلِّ امرئٍ من اسمه نصيبٌ» فيما لم يكن لك، مروراً بالخوف من هواجسنا، فقد كنت تهجسُ بالشهداء منذ أوّل لقاءٍ بك. كان أوّل سؤالٍ توجّهه لي بعد أن عرفت اسمي: «شو بيقربك الشهيد عدنان المرعي»، وبقيت تهجسُ بهم، تؤرّخ لهم، تنعيهم وتنعي فراغ الكادر الذي رسمته حولهم بعناية الأمهات، وجذل الأطفال، إلى أن ضاق عليك ورضخ لارتقائك، وصولاً إلى تساؤلٍ بات يسكننا عن قيمة السوريّ خارج ترابه، عن مرارة أن يرحل مثلك نهاراً على يد قاتلٍ مأجور. شاء القدر أن تُسكِتَ رصاصته المكتومة نبضك الحارَّ، أن تحصد منك موسم «حنظلة» قبل أوانه بكثير.

يغيب الكادرُ كلُّه اليوم عن النظر أيُّها الصديق، وتبقى صورك معلقةً على حيطاننا الافتراضيّة، لا تتسع لها الكوادر، تجرّب أن تقول شيئاً، تومئ لنا أن نروي عن صديقٍ ثار بصوتٍ قد يكون الأكثر حمولةً من المرح، بأوراق مجلته، بوقوفه الطويل للشرح عن «الكادر» بما يسخّر للناشطين عدسة الكاميرا بدلاً من زناد السلاح.. عن صديقٍ لم يمهله الموت أن يعبر قليلاً ليتنفّسَ هواءَ استراحةٍ قصيرةٍ فقط، ثم يتابعُ رثاء الشهداء من منفىً جديدٍ، صديقٍ تداخلت برحيله ملامح الشهادة بين لعنةٍ ووسامٍ.. كان عليك أن تحترف كلَّ ما احترفته من مرحٍ لنفتقدك، كان عليك أن تكون هذا المزيج من الثورة والكلمة والحلم واليقظة فنفتقدك، كان عليك أن تكون على هذا القدر تماماً من الصخب، الوداعة، التواضع، النقاء والإصرار لنفتقدك. كان عليك أن تعرف كلَّ من عرفتهم لتدلّنا إليهم ونفتقدك، كان عليك أن تتركَ في وجهَي طفلتيك كلَّ هذا الشبه، لننظرَ في كلِّ مرّةٍ إليهما ونفتقدك، كان عليك أن تكون واضحاً بقدر ما كنت، لنقف أمام الوجوه المغشاة، وما أكثرها، نغمض أعيننا ونفتقدك..

لا ينصفك أيُّها الصديقُ أن نعدّدَ ونقول إنك فعلت ما فعلت، لكنَّ ذاكرةً وفيَّةً تطمع أن تنصفك.. لا يجوز لنا أن نظنَّ أنّنا نرثيك حين نبحث عمّا نكتبه ولا نجد، وحده عجزنا عن الكتابة يرثيك..

لو عرفك قاتلك أيُّها الصديق، كان سيفرح بقرابةٍ تمنحه إيّاها دون مقابل، حين تصير «الخال»، كان سيعرف كيف يكون الدفءُ في الغربة حين تمتدُّ جدران بيتك حوله قدر ما شاء، وكان سيبكيك طويلاً لو أنَّ رصاصةً باردةً تسلّلت وأطفأتك.

لم تنجُ، لكنّك لم تسقط كأبطال التراجيديا في المنافي البعيدة، وفضّلت أن تنغرس أقرب ما يكون إلى ذاك التراب الذي أحببت، لتيقظنا من سهونا كلّما نظرنا جنوباً ولاحت شاهدةٌ كُتب عليها اسمك.

عمل للفنّان هاني عبّاس

لا عزاء لنا
بشهيد..
الدم بالدم

راجع على

بل هو لقاء

في اليوم الأربعين على استشهاد ناجي الجرف، أحيا حضورَه الأهلُ والأصدقاء والزملاء، عبرحفلٍ نظّمه أصدقاء الشهيد وتيار مواطنة في قاعة «بيتنا سورية» في مدينة غازي عينتاب التركية، وذلك يوم السبت ٦-١-٢٠١٦.

أعدّ برنامج الحفل وقدمه كلٌّ من الأستاذ مروان عبد الرزاق، والأستاذة منى فريج، ورافق الحفل عزف للدكتور علاء الزيات على العود.

تضمّن الحفل عرضاً لفيلم قصير عن الشهيد من إعداد زملائه، وضمّنوه لمحة

عامةً عن حياته وعلاقته بالثورة السورية، ووجّهوا من خلاله رسائلهم التي تعِدُ بالوفاء لمبادئ الحياة والكرامة، وتصرّ على أنّ الثورة مستمرةٌ بروح حاضريها وغائبيها.

وهنا مختاراتٌ من بعض الكلمات التي ألقيت، وفقرات التقديم التي شكّلت فرصةً لمخاطبة ناجي وللقائه، ووعداً بأن لا يغيب الفرح، وأن لا تنتصر ثقافة الموت على حالنا السوريّ.

بعضٌ من فقرات التقديم:

مساء الخير، نرحّب بكم جميعاً، لنحتفل معاً بشهدائنا الذين ضحوا بأرواحهم من أجل انتصار ثورتنا، ثورة الحرية والكرامة.

الشهيد ناجي الجرف، ليس أوّل الشهداء في ثورتنا السورية، ولن يكون الأخير. أصبح تعداد الشهداء من عاداتنا اليومية! نودّع شهداءنا، وننتظر من يودّعنا. السياسة فرّقتنا، وأرواح الشهداء تجمعنا.

أيها الناجي.. سلاماً.

جئناك لنقول لك، انهض ولو قليلاً، لنتصافحَ كما عوّدتنا، ولتنثر ابتسامتك الدفء فينا كل صباح.

أيها الناجي.. سلاماً.

صرخت يم وإميسّا: ماما.. انظري، صعد نجمٌ إلى السماء.

قالت فاطمة وخالد: ماما.. نجمةٌ جديدةٌ صعدت إلى السماء، وهذه نجمة ثالثةٌ.. ورابعةٌ.. وخامسة، أصبحوا آلاف النجمات، همست ماريا: ماما.. نجمة الصبح لم تعد تغادرالسماء.

رفع الأطفال أيديهم إلى السماء: آه يا بابا، ليتك تكلّمنا ولو في الحلم، يكفينا.

أيها الناجي.. سلاماً.

كم كنت تكره الأماكن الضيقة، وتكره الرقص على الحبال المتأرجحة، كنت الواسع كالبحر، وروحك حمامةٌ بريّة تحلّق في السماوات

العلا، تهرب من الأقفاص، وتعشق الحرية. كنت ثوريّاً نبيلاً، وطنيّاً بامتياز، تحلم بوطنٍ حرّ، والكل فيه متساوون، فكنت مع من يشاطرونك الحلم والروح والأمل، أيها الناجي سلاماً، أيها البعيد كغيمة، والقريب كشهقة مطر، كم كانت خطواتك تعشقها الأرصفة، وحديثك الحلو يحيي الأمكنة. هنا فنجانٌ برسم ابتسامتك، ودخان السجائر معلّقٌ على ستائر المنتدى. كلُّ شيءٍ يشتاق ضحكتك، وقلوب الحاضرين كلها شاهدة.

كلمة رفيقة وزوجة الشهيد بشرى قشمر. ألقتها السيدة د.تهامة معروف:

يا رفيق الصباح والمساء والأوقات القاسية، لم تتوقف روحي لحظةً عن الارتجاف، ولن أتوقّف عن الابتسام لكل تجلّياتك، ولم تتوقف أنت عن الغناء لكلّ الأحبة، لم تخذلك سوريّتكَ، ولم يخذلك الوفاء.

أتعلم؟ لا أفهم حتى الآن كيف استطعت أن تضحكنا جميعاً عندما كنت غارقاً في الحقّ، من أين يأتي كلّ هذا الجمال؟ من علّمك الفرح؟ دُلّني.. وكيف لا تفعل؟ وأنت نقطة الضوءِ التي أتبعها وسطَ هذا السواد؟ بالأخضر كفنّاك يا ناجي، بالأبيض كفّناك، لن يقتلني الحزن إذاً فأنت سلامي.

عمت مساءً يا ناجي.. وصباحك أنوارٌ دائماً يا أجمل الشهداء.

> **«مازلت سورياً من سلمية، مارست فقط سوريتي وبكلِّ ما أوتيت من نفس، رفعت صوتي بنشيد الحمويّ الملحّن على عنين الناعورة، ونشيد الحمصيّ المضبوط على عقرب الساعة القديمة»**

«مازال الحب يملكني يا أمي. جاهدت ضده طويلاً لكنه صرعني. مازال بريق عيونهم في تلك المظاهرات يملأ رئتي بالكثير من الأمل»

كلمة منتدى غازي عينتاب الثقافي ألقاها الأستاذ محمود الوهب.

وعيٌ عميق وسلوكٌ متميّز

جئت إلى غازي عينتاب في وقتٍ متأخّر، وعبر دار النشر ومكتبتي الصغيرة التي افتتحتهما، رحت أتعرّف على المثقفين من خلال ما يقتنونه من كتبٍ أو ما يسألون عنه، أو عن شروط النشر. كان ناجي الجرف يهتمّ بالكتب الفكريّة التي تُعنى بالبحث فيما يخص سورية ماضياً وحاضراً، مجتمعاً وسياسةً وثقافة، همُّه المعرفة الأعمق والأصدق. كان ينتقي من الكتب ويهمس مع ابتسامةٍ راقيةٍ مشرقة: «شكراً لك أن سددت هذا الفراغ الذي كنا نحتاجه..».

حين أنشأت المنتدى الثقافي بالتعاون مع عددٍ من الأصدقاء المثقفين، كان ناجي الجرف واحداً من أوائل المستضافين ليتحدث باستفاضةٍ عن دور «صحافة المواطن» وأهميّتها وأبعادها، تلك الصحافة التي نمت وترعرعت في ظلّ الثورة السورية، وامتلاك جيل الشباب لناصية التكنولوجيا الحديثة.

لتنعم روحك بالخلود يا ناجي، وستبقى تلك الشمعة التي أنرتَها تتوهّج في وجه القتلة، متحديةً ظلم الظلاميين وأنفاقهم المعتمة.

كلمة تيار مواطنة

رغم أن الموت بات على ناصية العمر للسوريين جميعاً، إلاّ أنه ينغرز في كلّ مرةٍ كنصلٍ باردٍ غادرٍ في أعماق القلب، ويرمينا عراةً من دفء الأحبّة، بلا أملٍ أو عزاء. كذلك كانت تلك الطلقة الغشيمة الغادرة منذ أربعين يوماً، وكأنما أصابتنا وأحرقت ركناً واسعاً من أرواحنا جميعاً، بلا أملٍ ولوبقيّةٍ عابرةٍ من ضحكة قلبك التي لم تنطفئ يوماً، تلك الضحكة التي كانت تغمر بمودّتها وحنوّها حتى المارة والعابرين.

وككل الشهداء كانت وصيتكم الأخيرة هي عمركم كلّه، والحلم الذي يوقده رحيلكم أبداً، وغيابكم نجومٌ شاهقةٌ في سماء البلاد، وسطراً طاهراً في كتاب الكلمة الحرّة التي كنتم شهداءها الأبطال.

قد لا يعرف الجميع سلميّة التي أنجبتك سورياً أصيلاً، وعاشقاً للضوء والحرية والإنسان، لكن مدينة الحالمين والشعراء أورثتك البساطة العميقة الجميلة لناسها، والحنوّ الشاهق لقلعة شميميس، والنقاوة الآسرة للبلعاس.

ناجي الثائر، ناجي الصحفي، ناجي صاحب الهمّ السياسي، ناجي الابن والزوج والأب والصديق، كلّها ترانيم قوس القزح لناجي الإنسان، السوريّ الذي حمل الراية منذ اللحظة الأولى لثورة الحرية والكرامة مع كل الشباب السوريّ الثائر، حملها بحبٍ وشغفٍ واندفاع، وقد كانت تلك الطلقة الفاجرة أبلغ تعبيرٍ عن المدى الذي ذهب فيه ناجي بإيمانه وإخلاصه لثورة شعبه.

وعندما نرثيه اليوم، وفي كلّ يوم، لسنا نرثي الإنسان فيه فحسب، بل بعضاً من سطور الكلمة الحرّة التي تحاول كل قوى الاستبداد والطغيان والظلام أن ترجمها برصاصةٍ أو سكينٍ أو حجر.

طوبى لك يا ناجي شهيداً جميلاً، وطوبى لكلّ من لامس قلبك وضحكتك الحنونة، والسلام لروحك ولمحبّيك الصبر على الوجع، طوبى لكل شهداء الثورة السورية، ولسورية الحرية والمجد والكرامة.

«وأغتال اليأس حيناً لأعتني بالأمل أحياناً»

كلمة الأستاذ زكريا الصقّال

أذكرُ أنها ثورةٌ، والمساحات تغلي وتفرز وتعطي، وكنت أنتَ عطاء، وهذا ما قرّبنا وجمعنا وجمّر مجالسنا. أيّة حيوية فيك تجعلك قريباً ومحبّباً. سمعت عن الظلِّ الخفيف، الظلّ الذي يحيطك بسياجٍ تحبه، تفضّله، لا تمل منه على صمته، لكن لعينيه شرودٌ ومساحاتٌ لشيءٍ لا يُدرك من البُعد والتوغّل والصفاء المضني المتعب، نعم متعبٌ وكلُّ صفاءٍ متعبٌ لأنه يحمل قلق تفجُّرِه.

اغتيل ناجي، اغتيل الفرح، وشردت عيون الأصدقاء، لا تعي جواباً لأسئلتي القلقة المفجوعة، وغيّمت سماءٌ من الحزن وأشرقت بالنحيب. لم يكن بكاءً لفقدك فقط، كنت أبكي الطريق والرحلة والهمسة الدافئة، ووشوشاتٍ حالمة، والكلمة القصيرة المفعمة من مسند ظهرك الذي لم يُسند، وأنت جميلٌ جميلٌ جميل، وقاسٍ اغتيالك يا ناجي، طعنةٌ بالطريق الذي لم نخمّن ولسنا بواقع التخمين، أهو طويلٌ طريقنا، أم باغتيالك يطول، استكثروا بسمتك وعطاءك فاغتالوك، نم يا صديقي نحن على الطريق.

> «إيماني بالثورة أهمُّ من أي رمز، الثورة هي التي تصنع الرموز، الرموز لم تصنع ثورةً يوما»

قصيدة الشاعر عبد المجيد فريج، ألقتها الأستاذة منى فريج

لأنّك لم تمت ما زلت حياً
كأنّك بيننا نبكي سويّا
نقاتل كلَّ من راموا فسادا
وما تركوا لنا فجراً نديّا
حضنت الموت مقتبِلاً ضحوكاً
كأنّك ما حسبت الموت شيّا
أتتك قوافل الأحداقِ فينا
تصبُّ الدمعَ شلّالاً قويّا
ليروي كلُّ شبرٍ في بلادي
يضمُّ بقلبه قلباً نقيّا
نكرت حياة ذلٍّ بات فيها
خسيسُ القوم مفضالاً نبيّا
فلا رقدت على الإذلال عينٌ
ولا نالت قلوبُ الشرِّ ريّا
فما عاش الكرام بأرض عزٍّ

وبينهم نرى طفلاً شقيّا
ألا يا أيها التاريخ سجّل
سأبقى رغم أنف الخبث حيّا
وأنفثُ من رماد الروح ناراً
على من جاء جباراً عصيّا
سأرجع والفرات لِيَ ابتسامٌ
على شطّيه تلحظهُ جليّا.

ومن بين الكلمات التي رافقت الحفل كلمة السيد عمر الجرف عن أسرة الشهيد ألقاها الأستاذ ربيع الرواي، وكلمة الأستاذ محمد ملاك، وكلمة للدكتور علاء الزيات، وتضمن الحفل أيضاً كلمةً صوتيةً من الإعلامي علي سفر، وكلمةً صوتيةً من تنسيقية مدينة سلمية.

لم يغب ذكر الوطن في الحفل، في المنفى، إذ كان لنشيد «موطني» موقع الخاتمة من الحفل، ولو أنّ الإنشاد كان بكاءً ونداءاً لمن غابوا.

ناجي الجرف، كنت تردد دائماً: «سأحاربهم بحلمي وأملي.. وقلمي»

وكان حلمك الحريّة كما هو حلمنا جميعاً، لكن قلمك كان أقوى من صوت الرصاص، وصوتك كان قيثارةً يعزف عليها الجميع، وبرحيلك حاربتهم.

ناجِي جرَف

الرَحْمَةُ لِرُوُحِكَ الْطَاهِرَة

رئيس تحرير مجلة

حنطة

WAEL HALABYA
FACE.COM/WAELHALABYAH